[THE EFFORTS OF ANCIENT ARAB SCHOLARS IN GENERAL AND GRAMMARIANS IN PARTICULAR IN THE ROOTING OF THE THEORY OF TEXTUAL GRAMMAR]

جهود علماء العرب القدامى عامة والنحاة خاصة في تأصيل جذور نظرية نحو النص

Aida Saeed Albasli
asalbasalah@pnu.edu.sa
Department of Arabic Language and Literature,
Faculty of Literature, Princess Nourah Bint Abdul Rahman University
11671 Riyadh, Saudi Arabia

Abstract

The scholars of Arabic, in the past and in the present, paid great attention to the concept of the text, and gave it great care, even if they did not state the modern term for it. The scholars of Arabic have realized since ancient times that the text is the complete and final picture by which the understanding takes place, and through it communication takes place between the members of the linguistic group. It's manifested meanings, then installed to match the purpose for which the text was built, for each station there is an article, and they also paid attention to the novel, the news and the hadith, and they boasted of eloquent speech. Their texts aim to achieve the benefit, and convey the verbal or written message to the recipient, with defining the intent and the will, and the multiple textual means are what distinguishes the text for them from others, achieve its unity and comprehensiveness, and testify to it with eloquence, quality and approval of Arabic. The Arab heritage defined the text as a coherent and harmonious linguistic structure according to a special pattern, characterized by structural features that make it a distinct entity. Just as our Arabic approach is toward a sentence, and toward a text together. The text that the creator creates is not created by a single word. Creativity takes place from the combination of words and vocabulary inside the sentences, then the sentences follow into systems and weave a system into a coherent rope integrated systems that amount to being a text, and this is what I have proven This study, which collected a lot of scholars' opinions and sayings, and examined them closely, to confirm the knowledge of grammarians in modern grammatical theory, its principles and concepts, and to prove their awareness of the science of the text. They presented many principles and frameworks for an integrated textual Arabic grammatical theory. They did not put their efforts into a well-defined, well-defined linguistic theory of ideas called 'text theory'.

***Keywords**: text concept - syntax - sentence and speech boundary - systems theory - communicative language - textual grammatical theory*

ملخص

لقد اهتم علماء العربية قديما وحديثا بمفهوم النص وأولوه عناية فائقة ،وإن لم يصرحوا بالمصطلح الحديث له، كما أنهم بنوا قواعد لغتهم على أصول نحوية راعت المرسِل والمرسَل إليه ،وركزت على تبليغ الرسالة من خلال بنية النص الداخلية والخارجية . ولقد أدرك علماء العربية منذ القدم أن النص هو الصورة الكاملة والأخيرة التي يتم بها الإفهام ،وعن طريقها يتم التواصل بين أفراد المجموعة اللغوية ،فالنص عندهم بالإجماع ليس مجموعة جمل فقط ، يدلل على ذلك أن العرب اهتمت بلغتها ومنطقها وإنتاجها اللغوي أيما اهتمام، وانتقت ألفاظه وفق معانيها المتجلية، ثم ركبتها لتتناسب مع الغرض الذي من أجله بُنِي النص، فلكل مقام مقال ، كما أنهم اهتموا بالرواية والخبر والحديث ،وتباهوا بالكلام الفصيح . إن نصوصهم تروم تحقيق الإفادة، وتبليغ الرسالة الملفوظة أو المدونة للمتلقي ،مع تحديد القصد والإرادة ،والوسائل النصية المتعددة هي التي تميز النص عندهم عن غيره ، وتحقق له وحدته وشموليته ،وتشهد له بالفصاحة والجودة وموافقة العربية . إن التراث العربي عرف النص بوصفه بناءً لغويًا متماسكًا ومنسجمًا وفق نسقٍ خاصٍ

،يتسم بسماتٍ تركيبيةٍ تجعلُ منه كيانًا ميزًا . كما أن نحونا العربي نحو جملةٍ، ونحو نصٍ معا، فالنص الذي ينشئه المبدع لا يكون إبداعه بالكلمة الواحدة، وإنما يتم الإبداع من تركيب الألفاظ والمفردات داخل الجمل، ثم تتابع الجمل في نظم ونسج منظوم في حبل مترابط متكامل النظم يرقى لكوه نصًا ،وهذا ما أثبتته هذه الدراسة التي جمعت الكثير من آراء العلماء وأقوالهم ودققت التمحيص فيها لتؤكد على إلمام علماء النحو بالنظرية النحوية الحديثة ،وبمبادئها وبمفاهيمها ، ولتثبت وعيهم بعلم النص ، فقد قدموا كثيرا من المبادئ والأطر لنظرية نحوية عربية نصية متكاملة ،وإ ن كان ما يؤخذ على علماء العرب أنهم لم يقدموا جهودهم في – نظرية لغوية مكتملة الأركان–واضحة المعالم – مرتبة الأفكار تدعى ب"النظرية النصية.

الكلمات المفتاحية: *مفهوم النص – نحو الجملة – حد الجملة والكلام – نظرية النظم – اللغة التواصلية – نظرية نحوية نصية*

Article Received:	*Article Reviewed:*	*Article Published:*
14 October 2022	28 October 2022	31 Disember 2022

المقدمة

يعد علم النص جزءاً من منظومة التطور الحديث في الدرس اللغوي، وهو صيغة جديدة من صيغ التعامل مع اللغة العربية وظواهرها من حيث الوضع والاستعمال.

فلقد تطورت الدراسات اللغوية الحديثة، وكثرت الدعوات التي تدعو إلى أهمية دراسة العلاقات النحوية بين الجمل ،فمنذ بداية النصف الثاني من القرن الماضي بدأت تلك الدعوات على يد الأمريكي (هاريس) في كتابه: "تحليل الخطاب" ،وكانت بعضها تدعو لدراسة العلاقات في مستواها السطحي فقط، ثم تطورت على يد (فان ديك) الهولندي في سبعينيات القرن الماضي حيث دعا إلى أهمية أن يشمل الوصف النحوي العلاقات بين الجمل في المستويين السطحي والعميق، ثم أصبح علم لغة النص علمًا واضح المعالم على يد الأمريكي (روبرت بوجراند) في ثمانينات القرن الماضي بعد أن وضع معاييره السبعة، و توالت الدراسات في الغرب والشرق بعد تلك الجهود التي قدمها رواد علم النص، وكثرت الدراسات الغربية التي حاولت أن ترسم منهجًا جديدًا لدراسة اللغة في ضوء المقاربة النصية ،كما انقسم العلماء إلى فريقين حول وجود جذور لنظرية نحو النص عند العرب ، فذهب كثير من الباحثين إلى القول بوجود أصول معرفية للمعايير النصية في تراثنا القديم، وإلى القول بأن نحو العربية ليس نحو جملة، بل هو نحو نص ينطلق من الجملة إلى النص ، بينما أطلق البعض على نحونا العربي أنه نحو جملةٍ، وليس نحو نصٍ ،ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة لتوثق جهود علماء العرب القدامى والنحاة خاصة في تأصيل جذور نظرية نحو النص، فقد عرف التراث العربي النص بوصفه بناءً لغويًا متماسكًا ومنسجمًا وفق نسقٍ خاصٍ ،يتسم بسماتٍ تركيبيةٍ تجعلُ منه كيانًا ميزًا . فجاءت الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:

أ. ما مفهوم مصطلح النص لغةً واصطلاحًا؟

ب. ما مفهوم مصطلح اللفظة– الكلم – الجملة –الكلام– القول؟

ج. ما الفرق بين الكلام والجملة ؟

د. كيف تعامل النحاة مع العلاقات النحوية ضمن النص ؟

هـ. ما جهود علماء النحو العربي في تأصيل جذور علم النص ؟

و. ما جهود علماء العرب القدامى في تأصيل جذور علم النص ؟

ولقد استخدمت المنهج الاستقرائي الذي يقوم على الملاحظة والوصف والتعريف والتصنيف ، فجاءت هذه الدراسة في خمسة مطالب، أظهرت تلك الجهود للنحاة وعلماء العرب القدامى في تأصيل جذور نظرية نحو النص.

المطلب الأول

النص:الحد والمفهوم:

أ. للنص في اللغة عدة معان منها

نص الشيء :رفعه وأظهره، وفلان نص مسألته عن الشيء، أي: استقصاها واستخرج جلها، ونص الحديث ينصه نصًا: إذا رفعه ،ونص كل شيء :منتهاه وغايته ،وقد يراد به :التحريك ،والتعين، والتوقيف ، وهذا كله من المجاز (al-Azhari, 2001; al-Jawhari, 2009; Ibn Manzur, n.d.; al-Zubaydi,1965).

والنصنصة :تحرك البعير إذا نهض من الأرض، وما ظهر فهو منصوص، وكل تبين وإظهار فهو نص (Tha'lab, 1969)، وهو مصدر يدل على أقصى الشيء ،الدال على غايته، جاء في المقاييس: "النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء...، ونصصت الرجل :استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده" (Ibn Faris, n.d.; Harun, n.d.) ،ومنها منصة العروس (al-Zamakhshari, n.d.; Mahmud, 1982): "المكان المرتفع العالي الذي تجلس عله لتظهر منه"، ويبدو لي أنه مشتق من النَّصِيْ ،وهو مرعى من أفضل المراعي ،وفلان نَصِّيَة قوم: أي خيارهم تشبيهًا بذلك المرعى (al-Asfahani, 1992, p. 810).

وربما ارتبط المعنى اللغوي للنص بالمعنى اللغوي للفصاحة ،فقال ابن الأثير: "وغاية ما يقال في هذا الباب :إن الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي، يقال :أفصح الصبح :إذا ظهر، ثم إنهم يقفون عند ذلك ،ولا يكشفون عن السر فيه...إن الكلام الفصيح هو الظاهر البين ،وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة، وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم...واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها ،فالفصيح إذا من الألفاظ هو: الحسن..." (Ibn al-Athir, 1995, 1, p. 80 & 81)، فالألفاظ الفصيحة هي: الظاهرة الواضحة، والغموض في المعنى سببه التركيب وهذا ما نجده كثيرًا، قال:" وأعجب ما في ذلك أن تكون الألفاظ التي تركبت منها المركبة واضحة كلها، وإذا نظر إليها مع التركيب احتاجت إلى استنباط وتفسير ،وهذا لا يختص به القرآن وحده ،بل في الأخبار النبوية ،والأشعار والخطب والمكاتبات كثير من ذلك" (Ibn al-Athir, 1995, 1, p. 83)، هذا ،وقد يكون الاشتقاق عندنا من (فصَّ) فقد جاء في اللغة من قولهم : فَصُّ الفكرة :حقيقتها وجوهرها ، وفصُّ الأمر :أصله وحقيقته، وفصُّ الشيء: حقيقته وكنهه ،والُكنه :جوهر الشيء ونهايته ، ويقال: أنا آتيك بالأمر من فصِّه، يعني :من مخرجه الذي خرج منه، وأفصصتُ له حقه وإليه: أخرجته، وفصفصةُ الكلام :العجلة فيه، وقال ابن الأعرابي :فصفص :أتى بالخبر حقًا، ونقل الكلام :بفصِّه ونصِّه :حرفياً، بدون أي تغيير، ومنه ركب الفص في الخاتم ،أي: ضمه إليه ،فصار شيئًا واحدًا ،ومنه ركَّب السنان في الرمح :إذا ضمه إليه (Ibn

(Manzur, n.d.)، فضم الكلام وتركيبه حتى يصير شيئاً واحداً يشبه تكوين الكلام بعد إخراجه على حقيقته ،وهذا يتفق مع تعريف النص في الدين وعند الأصوليين، و قد يكون فيه إبدال لغوي ،أو من التحريف والتصحيف الوارد في اللغة (Anis, 1966, p. 84)، وإذا قابلنا بين النص بمعناه اللغوي العربي السابق، وبمعناه اللاتيني لكلمة " نص "Texte والتي نجدها بمعنى نسج، أو النسج[1]، فالرابط واضح وهو التركيب والضم ،فالنسج في اللغة : ضم الشيء إلى الشيء، ونسج الشاعر الشعر: نظمه (Ibn Manzur, n.d.)، وبالنظر الدقيق قد يكون المعنى جامعاً، وكأن المتكلم ينص من خلال لغته التواصلية على أعلى وأرفع وأفضل الكلام ويخرجه من مرعى كلامه ومخزونه بأفضل صورة لإبلاغ المتلقي أو السامع ،فيرتب ألفاظ جمله ،ومن ثمَّ يجتهد لِيُكون سلاسل جُملية متصلة فصيحة الألفاظ والمعنى بعد التأليف والتركيب بينها، ومن ثم يَنْتَخِب الجمل التي يرفعها ويظهرها للمتكلم بغرض الإبانة والإفهام مكوناً المركب الكلي أو الخبر أو الحديث أو النص ،فالنص الذي يجتهد العربي على إخراجه هو غاية الفكرة، وخلاصة الرسالة ،ومنتهى التنسيق والترتيب، فيبدع في الضم للألفاظ والمعاني التي يظهرها للسامع والمتلقي لتكون مرآة ترفع الفكرة التي يريد تبليغها في المجتمع اللغوي الواحد المكون من العرب والعجم ،و الذي اشتهر بالإيجاز والبلاغة والفصاحة، والذي عُرف بالإعراب والبيان ،وإذا كان النص هو :" الصورة الكاملة والأخيرة المتماسكة التي يتم عن طريقها التواصل بين أفراد المجموعة اللغوية " (Ben Bella, 2018-2025)، وإذا كان النص "ليس مجموعة جمل فقط ،لأن النص يمكن أن يكون منطوقًا أو مكتوبًا ،نثرًا أو شعرًا ،حوارًا أو منولوغا..." (Ben Bella, 2018-2025)، والوسائل النصية هي تميز النص عن غيره وتحقق له وحدته وشموليته ،فالذي يصوغه الناطق مشافهة وخِطاباً ، والذي يصوغه المخبر عن فعل الناطق مدونًا و مكتوباً كلاهما :نصاً ، والجامع :الظهور والرفع والضم والنسج ،والفيصل أفعال الإنجاز في كلتا الوحدتين اللغويتين ،فالعلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي تلتقي في خيط شفاف أو معنىً دقيق كما سيتضح لنا.

ويدلل على ذلك عندنا أن العرب اهتمت بلغتها وإنتاجها اللغوي أيما اهتمام، وانتقت ألفاظه وفق معانيها وركبتها لتتناسب مع كل مقال ومقام ، وكانت تهتم بالرواية والخبر والكلام الفصيح، وتروم من ذلك الإفادة وتبليغ الرسالة الملفوظة أو المدونة للمتلقي مع تحديد القصد والإرادة .

ب. النص في الاصطلاح:

a. يقول طرفة في ديوانه :ونصُّ الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصِّه (Ibn al-‘Abd, 1423/2002).
b. وقال عمرو بن دينار: "ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري " (Ibn Manzur, n.d.)، أي :أرفع له ، وأسند، وهو مشتق من :نص الحديث إلى فلان، أي: رفعه.
c. قال الجرجاني:"ما ازداد وضوحًا على الظاهر لمعنى في المتكلم ،وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي، ويغتم بغمي ،كان نصًا في بيان محبته، ..." (al-Jurjani, 1403/1983, p. 133).
d. قال الطريحي: (قد صح عن النبي —ص–... أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح ،قال: والنص في اصطلاح أهل العلم :هو اللفظ الدال على معنى غير محتمل للنقيض بحسب الفهم ،والأثر ما جاء عن النبي– صلى الله عليه وله –،والإمام، أو عن الصحابي والتابعي من قول أو فعل وهو أعم من الخبر.." (al-Tarihi, n.d., 4, p. 186).

[1] ترجمة من كتب المهتمين بمصطلح النص. وانظر: غليم، ساجد حمزة، اللسانيات والتراث العربي ،دراسة مقاربة، مجلة دواة، المجلد الخامس، العدد 20-2019م، العراق —وزارة التربية–ص3.

e. قال الكفوي: "النص أصله أن يتعدى بنفسه ،لأن معناه: الرفع البالغ، ومنه منصة العروس، ثم نقل في الاصطلاح إلى الكتاب والسنة وإلى ما لا يحتمل إلا معنىً واحدًا، ومعنى الرفع في الأول ظاهر ،وفي الثاني: أخذ لازم الثاني ،وهو الظهور، ثم عدي بالباء وبعلى ،فرقًا بينه وبين المنقول عنه، والتعدية بالباء لتضمين معنى الإعلام، وبعلى لإطلاق التضمين ونحوه، وقيل : نص عليه كذا :إذا عينه، والنص: قد يطلق على كلامٍ مفهوم المعنى سواء، كان ظاهرًا أو نصًا أو مفسرًا، اعتبارًا منه للغالب لأن عامة ما ورد من صاحب الشريعة نصوصٌ..." (al-Kafwi, 1419/1998, p. 908).

ولقد تطور اللفظ (نص) من أصل الوضع دلالياً بعد ذلك ،وأطلق على نص القرآن الكريم والسنة ،ثم أطلقت على كلام الفقهاء (al-Zubaydi, n.d., 1358/1965, 9, p. 370)، وجاء عند أمالي مصطفى جواد: أن استعمال كلمة "نص" تطور في أوائل النهضة العربية الحديثة في نهايات القرن التاسع عشر وشاع استعماله ليطلق على قصيدة الشاعر وغيرها من النصوص ، وتقول:" وإن أغلب الناس —من الناطقين بالعربية– اليوم يفهمون المعنى العام للنص بأنه قول المؤلف الأصلي ،الموثوق به يذكر بهذا اللفظ لتمييزه من الشروح والتفسير والإيضاح ،فيقال :ذكر فلان ما نصه كذا وكذا، وقال أو كتب ما نصه كذا وكذا ،أو هذا ما سمعته نصًا وغيرها" (Ali, 1977‘)، ونحن نرى أن ذلك الفهم قديمٌ فقد ذكره أبو حيان في مقدمة البحر المحيط فقد قال :"ولله در أبي القاسم الزمخشري حيث قال في خطبة كتابه في التفسير ما نصه: إن إملاء العلوم بما يغمر القرائح ..." (Abu Hayyan, 1403/1983, p. 9)، وتطورت دلالة النص من الرفع والظهور إلى رفع الكلام إلى منشئه بصيغته الأصلية وهي دلالة مترسخة في اللغة منذ عصر ما قبل الإسلام (Shahin, 2012, p. 32)، فالنص عند الأصوليين: " هو كلام الشارع فيما لا يحتمل إلا معنى واحدا أو ما لا يحتمل التأويل" (Anis et al., 2004, 2, p. 18 & 926)، وعند الفقهاء بمعنى :"الدليل الشرعي كالكتاب والسنة ومنه قولهم :"لا اجتهاد مع النص" (Ibn Manzur, n.d.)، يقول الشافعي: "فعنايته بنصوص الكتاب والسنة إلا لمكانة النص في علم الأصول، ومكانة النص في أصول الفقه أحكامه، جديرة بالاهتمام البالغ ،لأن مبحث النص من أمكن المباحث في أصول الفقه ومن أعظمها فائدة، فالنص لا يعارض بقياس وأقوى ،ما يستدل له وبعمومه، ويرد نصا مؤكدا..." (Ben Bellah, 2018-2025, p. 9)، وعند علماء الحديث :"الإسناد والتعيين والتحديد" (Ben Bellah, 2018-2025, p. 9) "وفي الدراسات الحديثة يعرفه طه عبد الرحمن بأنه: "بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة ،مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات بين جملتين أو أكثر من جملتين" (Taha, 2001, p.35) وعند سعيد يقطين: "بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية ضمن بنية نصية منتجة وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة "،وعند محمد عزام: "وحدات لغوية ذات وظيفة تواصلية دلالية تحكمها مبادئ أدبية وتنتجها ذات فردية أو جماعية" (Yaqtin, 2001, p. 32) ويرى محمد مفتاح أن النص: "وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة" (Miftah, 1996, p. 15) وعند أحمد اليبوري: "مجموعة السلسلة اللغوية اللامحدودة بسبب إنتاجية المنظومة" (al-Liburi, 1993, p. 14).

المطلب الثاني

مصطلحح: اللفظة – الكلم — الجملة — الكلام – القول:

أ. اللفظة

جنس الكلمة، وذلك أنها تشتمل المهمل والمستعمل فالمهمل ما يمكن ائتلافه من الحروف، ولم يضعه الواضع بإزاء معنى نحو: صص وكق ونحوهما، فهذا وما كان مثله لا تسمى واحدة منها كلمة، لأنه ليس شيئًا من وضع الواضع، ويسمى لفظةً لأنه جماعة حروف ملفوظ بها، ... فاللفظة: جوهر الكلمة دون غيرها ... (Ibn Ya'ish, 2001).

ب. الكلم

قال سيبويه :"هذا باب علم ما الكلم في العربية "، قال ابن جني شارحاً: "فاختار الكلم على الكلام ،وذلك أن الكلام اسم من كلم بمنزلة السلام من سلم،....." (Ibn Jinni, n.d, 1, p. 25).[2]

ج. الكلام والجملة

يقول ابن هشام: "الكلام: هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة :عبارة عن الفعل وفاعله ... والمبتدأ وخبره ... وما كان بمنزلة أحدهما ... وبهذا يظهر لك أنهما ليس بمترادفين كما يتوهم كثير من الناس، وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام، قال: ويسمى جملة، والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة، بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون :جملة الشرط ،جملة الجواب ... وكل ذلك ليس مفيدًا ،فليس بكلام ...." (Ibn Hisham, 1392/1972, 2, p. 374)، ويقول ابن هشام نفسه في باب حكايات الجمل: "اعلم أن الجمل لا تغيرها العوامل وهي كلام عمل بعضه في بعض، وهي تحكى على ألفاظها كقول :قرأت الحمد لله رب العالمين، ... وكذلك ما أشبهه من المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ..." (Ibn Hisham al-Misri, 1406/1986, p. 398) ويقول: "إذا رأيت في فص خاتم اسمًا مفردًا أو كنية وما أشبه ذلك حكيته ولم تعربه ،فتقول: رأيت في فصه أبو محمد...، وإن رأيت في الفص أسدًا حكيته، فقلت: في خاتمه أسد، تأويله: أنا أسد ،وإن رأيت صورة الأسد في الفص منقوشة، أعربته، فقلت: رأيت في خاتمه أسدًا ...لأن الفص حينئذ ظرف للصورة ،وتقول: رأيت في خاتمه زيدًا مكتوبًا ومكتوبة ،إن شئت، فمن ذكر ذهب إلى معنى الكلام ،ومن أنث ذهب إلى معنى الجملة، تقديره :رأيت في خاتمه أنا زيد مكتوبا ،وكذلك ما أشبهه، ولو قلت :رأيت في خاتمه أسدا خبيثا أو رجلا أحمقا ...كان محالًا، لأن هذا ليس مما يصور و لا يدرك بالصورة" (Ibn Hisham al-Misri, 1406/1986, p. 403)، ويقول الفاكهي عن علم النحو: فحد هذا العلم: "علم بأصول يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً ،وموضوعه :الكلمات العربية لأنه يبحث فيها عن الحركات الإعرابية والبنائية ،وغايته: الاحترازعن الخطأ في اللسان، ...، ومخاطبة العرب بعضهم لبعض ... والكلمة تقال للجمل المفيدة ... وقدم تعريف الكلمة على الكلام، لأنها جزؤه، والجزء مقدم على الكل طبعًا، فقدم وضعًا ...، ومن قدم الكلام فلأنه أهم إذ به يقع التفاهم والتخاطب ،..." (al-Fakihi, 1971, 1, 18; al-Shafi'i, 1971, 1, 14)، وقال الفاكهي: "والكلام يسمى جملة، واللغة تقال للجمل المفيدة" (al-Shafi'i, 1971, 1, 11)، وعندما عرف العلماء النحو قالوا: "علم يعرف بها أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً ،والكلمة

[2] انظر: الحاج ،صالح عبد الرحمن ،أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي،الجزائر،مجلة الممارسات اللغوية ،جامعة مولود معمري–تيزي وزو، العدد (02)2011م، ص3.

:تقال للجمل المفيدة" كلا إنها كلمة هو قائلها "وهو من إطلاق الجزء مرادًا به الكل ..." (al-Fakihi, 1971, 1, 18; al-Hamsi, n.d., 1, 14)، ويقول الحمصي: "ومن قدم الكلام فلأنه أهم إذ به يقع التفاهم والتخاطب ...،والفائدة في ملاحظة التاء ...التعريف على أن الكلمة لا تصدق على أفراده إلا بالوحدة الصرفة دون الاجتماع، فلا يقال ...(زيد قائم): مثلاً: إنه كلمة" (al-Shafi'i, 1971, p. 17).

ويستوقفنا نص الفراء :"بلغنا أن يزيد بن المهلب ولى كورةً من بعض كور خرسان رجلًا يقال له: ثابت الأزدي ،فحضرته صلاة الجمعة ،فلما علا المنبر استهاب من كان بين يديه من الناس، فأحجم ،فلم ينبسْ بحرف ،أي: لم يتكلم ،فلما طال عليه ذلك، نزل من المنبر ،ثم استل سيفه فوضعه بين يديه، ودخل الناس يسألونه عن حاله، وما الذي أسكته عن الاختطاب ،فلما رآهم قد تكاثفوا عليه، أنشد يقول:

إلا أكن فيكم خطيبا فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فقيل له: لو كنت قلت هذا على المنبر لكنت أخطب العرب، ثم التفت إليه غلام من بني تميم، فقال له: ما كُنيتك أيها الأمير؟ فقال له: وما أردت من ذلك؟ وهذا أعظم مما نزل بي من على المنبر؟ أنا أبو العلاء ،فأنشد الغلام يقول: أبا العلاء لقد لقيت معضلة يوم العروبة من كذب وتحنيق ... تلوي اللسان وقد رمت الخطاب به ... ثم أخذوا سيفه وقطعوه قطعا" (al-Farra', 1400/1980, p. 38 & 39)، أليس هذا نصًا يصور المخاطِب والمخاطَب ويهتم بالقصد والمقام والمقال؟ وأليس الكلام هو الخطاب في أذهان العرب؟

فالخطاب في لسان العرب: "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، ... والخطبة: اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب، ..." (Ibn Manzur, n.d.)، يقول العسكري: "وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام ...، فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدوي ...، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب (al-'Askari, 1371/1952, p. 29)"، وجاء في تفسير قوله –تعالى: "وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" (سورة ص:الآية :20):" فمعنى فصل الخطاب: البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه" (al-Zamakhshari, 1997, 4, p. 77)، ويقول التهانوي: "وهو بحسب اللغة: توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ،ثم نقل إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام ،وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب ، قال في الأحكام :الخطاب اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه" (al-Tahanawi, 1998, 2, 5 & 6).

نخلص مما تقدم إلى قولنا :إن الكلام عند العرب هو القول أو الخطاب الدال على معنى يحسن السكوت عليه، وهو مركب من جملة أو أكثر، والجملة مركبة من مفردات، والمفردات ألفاظ تعبر عن معان بأصوات وحروف ضم بعضها إلى بعض، لتؤدي الغرض من الخطاب وهو الإفادة، وتبلغ الرسالة وإزالة اللبس والإبهام، ويؤكد ذلك د.قباوة، بقوله عن الكلام: "وهو مكون من: المفرد، وشبه الجملة، والجملة، والمراد بالمفرد: الاسم أو الفعل أو الحرف، وبشبه الجملة: الظرف أو الجار والمجرور، وبالجملة، ما تكون من ألفاظ متعددة كالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر وأداة الشرط مع جملتيه وما تفرع عن ذلك" (Qabawah, 1409H, p. 15)، فالقول يطلق على الآحاد والمفردات والجمل المركبات (Ibn Jinni, n.d., 1, p. 26)، ويبدو لي أن اتهام النحاة العرب بأنهم انكبوا على نحو الجملة وأهملوا نحو النص فيه من التحامل الشيء الكثير، ويؤكد ذلك قول بعضهم: "ومن اللافت أننا لا نعثر على كلمة "جملة" في كتاب سيبويه، الذي أسماها" كلامًا يحسن أن يسكت المتكلم عند انتهائه" (al-Hajj Salih, 1993, p. 8)، "لم يعرف سيبويه الجملة ولا وردت في كتابه مصطلحاً، وإنما وردت في عدة مواضع في الكتاب بمعناها اللغوي" (Mighri, 1436/2015,

p. 47)، ولكنه أورد مصطلح الكلام كثيرًا بمعاني مختلفة منها: اللغة، والحديث ،والنثر، وبمعنى وحدة التحليل النحوي الكبرى (Mighri, 1436/2015, p. 47)، ونجد الجملة عند عدد كبير من العلماء كالمبرد (al-Mubarrad, 1382H, 1, p. 146) وابن السراج الذي سماها: "الجمل المفيدة" (Ibn al-Sarraj, 1985, 1, p. 70) ، وعند غيرهم من العلماء ،حتى أن بعضهم صنفوا كتبًا ووسموها بالجمل ، ويريدون الكلام العربي ،وقوانين العرب في تنظيم كلامها، فالنص الذي ينشئه المبدع لا يكون إبداعه بالكلمة الواحدة، وإنما يتم الإبداع من تركيب الألفاظ والمفردات داخل الجمل، ثم تتابع الجمل في نظم متكامل ، يقول ابن جني:" لا يكون مع الحرف ولا الكلمة الواحدة، ولا يكون مع الجملة الواحدة دون أن يتردد الكلام وتتكرر فيه الجملة، فيبين ما ضمنته من العذوبة ،وما في أعطافه من النعمة واللدونة" (Ibn Jinni, n.d., 1, p. 31)، والجرجاني في دلائل الإعجاز يهدف بعلاجه لنظم الكلام إلى معالجة الكلمات التي الجمل (Anis, 1966, p. 303).

د. ولعل اللبس مفاده إلى أن العلماء قد انقسموا إلى قسمين في نظرتهم إلى الجملة:

الفريق الأول: يرى أن الكلام هو :ما تركب كلمتين، ويسمى جملة ،وهو يرادف الجملة فقد صرح بعض النحويين بأن الجملة هي الكلام (Qabawah, 1409, 16 & 131)، ونسبه د قباوة لابن جني (Qabawah, 1409, p. 17 & 18; Ibn Jinni, n.d., p. 13-15)، وللزمخشري، ولابن يعيش (Ibn Ya'ish, 1422/2001, p. 88)، وبعضهم خص هذا الرأي بالمتقدمين من النحاة ،وأورد مفهومها عند المتقدمين من النحاة كما يلي (al-'Udwani, 2008, p. 19): يرى أصحابه أن الجملة هي: التركيب الذي يكون مفيدًا ومستقلاً في الوقت نفسه، أو هي: العبارة المفيدة فائدة تامة يحسن السكوت عليها ،نحو: "(زيد منطلق) و (إن تأتني أكرمك) و (قم) (صه) ... (al-'Udwani, 2008, p. 19)"، ونسبه لبعض العلماء، ومنهم المبرد الذي يقول:" وإنما كان الفاعل رفعًا لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت ،وتجب بها الفائدة للمخاطَب" (al-Mubarrrad, 1382, 1, p. 81)، وهذا ما ارتضاه ابن جني (al-Mubarrad, 1382, 1, p.81; Ibn Jinni, n.d., 1, p. 27-30)، والزمخشري الذي يقول: "الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ،وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو فعل واسم، نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر ،ويسمى جملة" (al-Zamakhshari, 1859, p. 4 & 13)، والعكبري الذي يقول: "الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة تامة كقولك : زيد منطلق، وإن تأتني أكرمك ، وقم ،و صهٍ، وما كان نحو ذلك" (al-'Akbari, 1421/1991, p.35)، فالجملة عند هؤلاء كما يقول العدواني هي: "كل تركيب يفيد السامع فائدة تامة يحسن السكوت عليها سواء أكان إسناديًا ،أم لم يكن ،كما في :إن تأتني أكرمك" (al-'Udwani, 2008, p. 19)، فالتركيب والإفادة ،هما الضابط، ولا نتفق مع العدواني بأنهم لم يشترطوا الإسناد، فكلام المبرد وابن جني والزمخشري وغيرهم قائم على الإسناد كما ارتضاه سيبويه، فجملة: إن تأتني أكرمك ،الإسناد قائم بين المخاطَب والمخاطِب ،فالمخاطِب المتكلم يسند الإكرام لنفسه، بقيد إسناد الاتيان لمن يخاطبه، فهي كلام تكون من ركنين أو من جزئي الشرط (جملة الفعل وجملة الجزاء ،إن يكن منك فعل الإتيان ،يكن مني فعل الإكرام) وبعضهم يعتبر الجزء الأول من أسلوب الشرط كلامًا، والجزء الثاني كلاما آخر، وإن كانا جملتين، لأن الإسناد ليس أصليًا كما رسمه سيبويه، فهو من ترابط الجمل وليس من ترابط الألفاظ، والإسناد المقصود: رابط يربط حبل التفاهم بين المتكلم الذي تكلم بالخبر، والقائم بالفعل، والمخبر عنه الخبر أو(الفعل). فعندما نقول قام زيد: أخبر المتكلم الجماعة اللغوية عن قيام شخص ما هو زيد، بفعل ما هو القيام، فيقول :قام زيد، أو زيد قائم. ويؤكده قوله: "وأما البحث عن الكلام فهو غير ظاهر عند النحاة، فنعم ما فعل الزمخشري في المفصل، حيث قال بعد تعريف الكلام،" ويسمى: "جملة" انتهى، وكأنه لم يلتفت للبحث عن الكلام في قولهم: الكلام إما خبرٌ أو إنشاءٌ، لأنه ليس بحثًا نحويًا محضًا .." (Yasin, n.d., 1, p. 11).

الفريق الثاني: رأي الجمهور ، يفرق بين الجملة والكلام ،يقول د قباوة: "فقول طرفة (Ibn al-‘Abd, 1423/2002, p. 26):

لعمرك إن الموت، ما أخطأ الفتى لكا الطول المرخى، وثنياه باليد

ينطبق عليه تعريف النحويين للكلام لأنه يقتضي أن يذكر كله ليتم المعنى الذي يحسن السكوت عليه، وهو بضم أربع جمل، وهي ..." (Qabawah, 1409, p. 16)، ثم نقل خلاف العلماء في عدد الجمل في الآيات 95-97 من سورة الأعراف، عن ابن هشام في المغني (Qabawah, 1409, p. 16; Ibn Hisham al-Ansari, 1392/1972, p. 419 & 420)، ونقل قوله في المغني: "وفيه نظر" أي: خلافهم، ثم ذكر رأيه في عدد الجمل في الآيات، فالدكتور قباوة يفسر كلام الجمهور على أن الجملة أخص من الكلام، لأن الكلام قد يتكون من أكثر من جملة لتتم به الفائدة، وفصل العدواني ذلك الرأي الذي عبر عنه بمفهوم الجملة عند المتأخرين من النحاة بكلام آخر كما يلي (al-Udwani, 2008, p. 19): يرى أصحاب هذا الرأي أن الجملة هي ما تألف من مسند ومسند إليه سواء أتمت به الفائدة أم لا، كالفعل و الفاعل، نحو: قام زيد، وإن قام زيد، وأقسمُ باللهِ، أو الفعل ونائبه، نحو: ضُرِب اللصُ، أو المبتدأ والخبر، نحو: زيد قائم، أو المبتدأ والفاعل الساد مسد الخبر، نحو: أقائم الزيدان، أو اسم الفاعل وفاعله، نحو: هيهات السفر، أو الظرف وفاعله، نحو: أفي الدار أحد؟ أو الفعل الناسخ وما دخل عليه، نحو: كان زيدٌ قائمًا، أو الحرف المشبه بالفعل وما دخل عليه نحو: إن زيدًا قائمٌ، وذكر ميل الرضي لهذا معتمداً على ما يقول: "والفرق بين الجملة والكلام، أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا،كالجملة التي هي خبر المبتدأ، أو سائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر واسما الفاعل والمفعول، والصفة المشبهة، والظرف مع ما أسندت إليه، والكلام ما تتضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودًا لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس" (al-Istirabadhi, 1996, 1, p. 33) ومنهم ابن هشام، الذي يقول عنها: "الجملة عبارة عن الفعل وفاعله ك (قام زيد) والمبتدأ وخبره، ك (زيد قائم)، وما كان بمنزلة أحدهما، نحو:(ضُرِب اللص) و (أقائم الزيدان)؟ وكان زيدٌ قائمًا ،وظننته قائمًا" (al-Ansari, 1392/1972, p. 49) ومنهم الشريف الجرجاني، الذي قال عن الجملة: "عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد ،كقولك: زيد قائم، أو لم يفد،كقولك "إن يكرمني" فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه، فتكون أعم من الكلام مطلقًا" (al-Jurjani, 1357/1938, p. 69) فالجملة عند هؤلاء هي ما تألف من مسند ومسند إليه فقط، سواء أتمت الفائدة بهما كما في: قام زيد، وزيد قائم، ... أو لم تتم كما في: إن قام زيد، وأقسم بالله (al-‘Udwani, 2008, p. 22)، فكل جملة كلام و ليس كل كلام جملةً، ويبدو لي أن هذا مفاد من نص سيبويه القائل: "ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم، وإلا لم يكن كلاما" (Sibawayh, 1408/1988, 1, p. 21) وقال بنفس المعنى: "هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا" (Sibawayh, 1408/1988, 1, p. 23) يقول ميغري: "وهو ما يعني أن بعض المفاهيم قد ينشأ ويوجد لزمن قبل أن يوجد مصطلح يدل عليه، على أن المحققين من الدارسين مجمعون على أسبقية لفظ الكلام على لفظ الجملة في الاستعمال الاصطلاحي" (al-Mighri, 1436/2015, p. 48; al-Majdub, 1998, p. 139-157; Nahlah, 1988, p. 19; al-Shawsh, 2001, 2, p. 267).

وحتى نكون أكثر دقة إليكم بعض أقوال الرضي، ومنها: "واللفظ في الأصل مصدر ثم استعمل بمعنى الملفوظ به ... والكلام بمعناه ... بل هو موضوع لجنس ما يُتكلم به سواء كان كلمة على حرف كواو العطف، أو على أكثر، أو كان أكثر من كلمة، ... فالقول و الكلام واللفظ، من حيث أصل اللغة بمعنىً، يطلق على كل حرف من حروف المعجم كان، أو من حروف المعاني، وعلى أكثر منه، مفيدًا كان أو لا، لكن القول أشتهر في المفيد، بخلاف اللفظ والكلام، واشتهر الكلام لغةً في المركب من

حرفين فصاعدًا، واللفظ خاص بما يخرج من الفم من القول، فلا يقال: لفظ الله، كما يقال:كلام الله، ...، والمقصود من قولهم: وضع اللفظ، جعله أولاً لمعنى من المعاني، مع قصد أن يصير متواطئا عليه بين قوم،... (al-Istirabadi, 1996, 1, p. 21) وقال شارحًا قول ابن الحاجب في حد الكلام: (الكلام ما تضمن كلمتين بالإسناد، ولا يتأتى ذلك إلا في اسمين أو في فعل واسم)، و (إنما قدم حد الكلمة على حد الكلام ... لتوقف الكلام على الكلمة توقف المركب على جزئه، ويعني بتضمنه الكلمتين: تركيبه منها وكونهما جزأيه، وذلك من دلالة المركب على كل جزء من أجزائه دلالة تضمنٍ، وجزءا الكلام يكونا ملفوظين،كزيد قائم، وقام زيد، ومقدرين، كنعم، في جواب من قال: أزيد قائم؟ أو أقام زيد؟ أو أحدهما مقدرًا دون الآخر، وهو إما الفعل، كما في :إن زيد قام، أو الفاعل، كما في: زيد قام، أو المبتدأ، كما في قوله تعالى: "فصبر جميل"، والمراد بالإسناد: أن يخبر في الحال أو في الأصل بكلمة أو أكثر عن أخرى، على أن يكون المخبَر عنه أهم ما يخبر عنه بذلك الخبر في الذكر وأخص به، فقولنا: أن يخبر، احتراز عن النسبة الإضافية، وعن التي بين التوابع ومتبوعاتها، وقولنا: في الحال، كما في: قام زيد، وزيد قائم، أو في الأصل ليشمل الإسناد الذي في الكلام الإنشائي، نحو: بعتُ وأنت حر، وفي الطلبي، نحو: هل أنت قائم؟، وليتك، أو لعلك قائم، وكذا نحو: اضرب، لأنه مأخوذ من (تضرب) بالاتفاق، وقياسه: لتضرب، بزيادة حرف الطلب قياسًا على سائر الجمل الطلبية ...، وقولنا: على أن يكون المخبَر عنه أهم ما يُخبَر عنه ... احتراز عن كون الفعل خبرًا أيضًا عن واحد من المنصوبات في نحو: ضرب زيد عمرًا أمامك يوم الجمعة ضربةً ... فإن المرفوع في الموضعين أخص بالفعل وأهم بالذكر من المنصوبات ... وكان على المصنف أن يقول: بالإسناد الأصلي المقصود به: ما تركب به لذاته، ليخرج بالأصلي، إسناد المصدر واسمي الفاعل والمفعول ... فإنها مع ما أسندت إليه ليست بكلام، وأما نحو: أقائم الزيدان، فلكونه بمنزلة الفعل وبمعناه كما في أسماء الأفعال، وليخرج بقوله: المقصود ما تركب به لذاته: الإسناد الذي في خبر المبتدأ في الحال أو في الأصل، وفي الصفة والحال، والمضاف إليه، إذا كانت كلها جملاً، والإسناد الذي في الصلة، والذي في الجملة القسمية لأنها لتوكيد جواب القسم، والذي في الشرطية لأنها قيد في الجزاء، فجزاء الشرط، وجواب القسم كلامان،[3] بخلاف الجملة الشرطية والقسمية ...، وإنما قال: بالإسناد، ولم يقل: بالإخبار، لأنه أعم، إذ يشمل النسبة التي في الكلام الخبري والطلبي والإنشائي ... واحترز بقوله "بالإسناد" عن بعض ما ركب من اسمين، كالمضاف والمضاف إليه ... وذلك لأن أحد أجزاء الكلام هو الحكم، أي: الإسناد الذي هو رابطة، ولابد له من طرفين "مسند" و "مسند إليه " والاسم بحسب الوضع يصلح لأن يكون مسندًا ومسندًا إليه، والفعل يصلح لكونه مسندًا لا مسندًا إليه، والحرف لا يصلح لأحدهما ... (al-Istirabadi, 1996, 1, p. 33)، والظاهر لي من النصوص، أن لا خلاف بين النحاة في أن الكلام غير الجملة في الحقيقة، وأن تعبيرهم بالجملة عن الكلام أو باللفظة عن الكلام هو من باب التجوز والتوسع والتسامح، وإطلاق العام على الخاص والعكس (انظر al-Fakihi, 1971, 1, p. 10)، فالجملة ركن من أركان الكلام ولبنة من لبناته، كما أن اللفظة لبنة من لبنات الجملة، وانطلاق العرب من اللبنة الأصغر إلى اللبنة الأكبر يدل على منهج عقلي سليم، فقد بدأوا بالصوت ثم الصرافة والاشتقاق، فالمعنى والدلالة، ثم النحو والإعراب للمفردات وصولاً إلى الجمل و التراكيب، بغية الإبانة والإيضاح في إظهار النص المنطوق أو المكتوب، ويؤكد ذلك ما يقوله ابن جني عن الكلام: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه ،مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو: زيد أخوك، وقام زيد ... وأما القول: فأصله أنه كل لفظ مذل به اللسان تامًا كان أو ناقصًا، فالتام: هو المفيد أعني الجملة، وما كان في معناها من نحو ،صهٍ و إيهٍ...، فكل كلام قول، وليس كل قولٍ كلامًا، هذا أصله ثم يتسع فيه، فيوضع القول على الاعتقادات والآراء ... فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه، فهو كلام (Ibn Jinni, n.d., 1, 18 & 19). " ويقول: "الكلام :جنس

[3] الرضي يرى أن جملة جزاء الشرط كلاما ،وقال المحقق: "والمعروف أن الكلام هو مجموع الشرط والجزاء" هامش al-Istirabadhi, 1996, 1, p. 33.

للجمل، فإذا قال: قام زيد فهو كلام، وإذا قال: قام محمد وأخوك جعفر، فهو أيضًا كلام كما كان لما وقع على الجملة الواحدة كلامًا ..." (Ibn Jinni, n.d., 1, 17, 26 & 27)، "فالكلام إذا إنما هو جنس للجمل التَّوام، مفردها، ومثناها، ومجموعها، فنظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام، وهذا جلي ... ومما يؤنسك بأن الكلام إنما هو للجمل التوام دون الآحاد، أن العرب لما أرادت الواحد من ذلك خصته باسم لا يقع إلا على الواحد، وهو قولهم "كلمة" ... ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو، ولا تحزن، ولا تتملك قلب السامع إنما ذلك فيما طال من الكلام، وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه، ورقة حواشيه ..." (Ibn Jinni, n.d., 1, p. 27)، و "الإطالة والإيجاز إنما هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه، ولو بلغ بها الإيجاز غايته لم يكن له بد من أن يعطيك تمامه وفائدته، مع أنه لابد فيه من تركيب الجملة، فإن نقصت عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب..." (Ibn Jinni, n.d., 1, p. 30)، "فثبت بما شرحناه وأوضحناه أن الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤسها المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف ستركبها، وثبت أن القول عندنا أوسع من الكلام تصرفًا، وأنه يقع على الجزء الواحد، وعلى الجملة، وعلى ما هو اعتقاد ورأي، لا لفظ وجرس، وقد علمت بذلك تعسف المتكلمين في هذا الموضع وضيق القول فيه عليهم، حتى لم يكادوا يفصلون بينهما ..." (Ibn Jinni, n.d., 1, p. 30) فالكلام في اصطلاح النحويين ما اجتمع فيه أمران اللفظ والإفادة، والمراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف تحقيقًا كمحمد، أو تقديرًا كالضمائر المستترة، والمراد بالمفيد: ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، وأقل ما يتألف منه الكلام، اسمين، أو فعل واسم ..." (al-Maraghi, n.d., 1, p. 11 & 12)، ولابد أن نميز مرادهم بالتركيب والتآلف، فنحو (زيد قائم، وقام زيد)، يريدون المسند والمسند إليه بناء على نظرية الإسناد (المخبِر والمخبَر عنه)، يقول سيبويه: "هذا باب المسند والمسند إليه وهما مما لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا ..." (Sibawayh, 1408/1988, 1, p. 24; Habirah, 2018, p. 93)، وهنا يتم الكلام لذا عبر عنه الرضي بالإسناد الأصلي الذي يتطلب حتما مخاطِب ومخاطَب، يسند الفعل والإنجاز لأحدهما مع القصد في مقام وسياق وإعلام، فمن عبر عن الجملة بالكلام ورأى الترادف لم ينظر للخبر والإنشاء و الطلب بل نظر للجملة في الكلام من ناحية قانون الإسناد الأصلي فقط، ومن فرق بينهما نظر إلى جمل الكلام كلها، ولم يتخلص من الخبر والإنشاء والطلب في نوع الفعل والجملة، لذا فالمتكلم يخبر المخاطَب عن فعلِ زيدٍ وإنجازه الذي في زمن المضي أو الاستمرار أو الحال، ويسند القيام لزيد، بناء على العهد المجتمعي والموقف والسياق والقصد، وهو إسناد تكَّون من العمد (الفعل والفاعل) أو (المبتدأ والخبر)، وهو الغاية العظمى في اللغة، ويتم تبليغ الرسالة وتتم الفائدة به، ومثله: صهٍ، واستقم، ... إلخ، فالمخاطِب هنا يأمر المخاطَب بالإنجاز في موقف معين ويتم الكلام عند تبليغ الرسالة وتنفيذ الفعل وانتهاء الموقف، والإسناد رابط بين المخبِر والمخبَر و المخبر عنه، وأما مالم يكن إسنادياً أصلياً عندهم، أي: (ليس إخباراً عن مخبرٍ (شخص) قام بالفعل، ولا يتطلب مخبِراً يسند الفعل لمن فعله، أو مخبرٍ عن فعل ما) فهو الذي لا يشترط وجوده ليتم به التواصل في الموقف والسياق المحدد، بل يكون عاماً ومساندًا، وهوما (تضمن الفضلات ،و المسندات مما تركب من أكثر من كلمتين، أو أكثر من جملتين، وتمت به الفائدة الإضافية) فالإسناد هنا والرابط مختلفان، فنحو: إن تذاكر تنجح، فهو أكثر من جملة أيضاً، وكلامًا مفيدًا تاماً لأن الفائدة والرسالة تمت، ولكنه ليس فيه إخبار عن فعل تم إسناده لفاعل ما فقط، فهو كلام تكون من جملتين، و أما ما جاء من نحو: أقسم بالله، وإن تأتني، فإن عده المتأخرون جملة دون الكلام فبناءً على التقسيم السابق الخاص بالإسناد الأصلي للجملة عندهم (فهي جملة قسم) مرتبطة بجواب القسم، وتفيد لأن المخاطِب يُعلم المخاطَب بقسمه ولكن الجواب منتظر، ويسند فعل القسم لنفسه ويبلغه بذلك على انتظار جواب القسم، ويؤكد له أن الجملة في سياق قسم، وفي الثانية أقصد (جملة شرط) فيُعلمه أن الفعل الثاني في جواب الشرط مرتبط بالأول (فعل الشرط)، والإسناد قائم على نوع مختلف عن الإسناد في العمد، فالمخاطَب والمخاطِب موجودان، والمقام والسياق هما الفيصل، والجملة الأولى فيها إسناد، والجملة الثانية كذلك، ولكن الكلام لم يتم لأن الرسالة لم تصل، فترابط الجمل وتتابعها وتآلفها يتمم الكلام، لذا قالوا:

الكلام يرادف الجملة في أنه مركباً كما الجملة وفي أنه يفيد كما الجملة إذا كان فيه إسناد أصلي بمفهوم العلماء كما وضحه الرضي، وليس مرادهم بالمرادفة المطابقة التامة، فالترادف من ناحية الإفادة والإخبار، ومن ناحية التركيب الموصل للإفهام والوضوح وتحقيق القصد، ولكنهم لا يريدون الموافقة والترادف الكلي والإسناد عامة، فهذا لم يقل به أحد من النحاة، أما ما جاء من المركب فهو على وجهين: "المركب يقصد به الرجل والغلام، فهو مكون من (أل) الدالة على التعريف، والمعرف، وهو من جهة النطق لفظة واحدة، وكلمتان إذ كان مركبًا من (الألف واللام) الدالة على التعريف، فهي كلمة، لأنها حرف معنى، والمعرف كلمة أخرى ..." (Sibawayh, 1408/1988, 1, p. 24; Habirah, 2018, p. 93)، فالغلام ليس جملة ،لافتقاد التركيب المشروط بالإفادة الخاصة بالمعنى، وليس كلاماً تامًا لافتقاره للتمام والإفادة، وفي قولنا: أقسم بالله، فالإسناد الأصلي موجود موجود، والتركيب موجود، فهي جملة بالنظر إليها وهي جزء من كلام لم يتم.

وأختم بقولي: ومما سبق تبن أن مصطلح الجملة يراد ف الكلام المكون من مجموع الألفاظ اللغوية مفردات، وأشباه جمل، وجمل، وهذا ما أثبتناه، لأن علماء العربية القدامى وفي متون مؤلفتهم التراثية اهتموا بلبنات الكلام فأولوا الجملة العربية التي عرفت بأنها" أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بالفهم سواء أتركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر" (Anis, 1966, p. 191) بقدر كبير من الدراسة والتحليل والتمحيص من الناحية الوضعية، وللإجابة عن سؤال اللسانين بقدم واثقة اهتديت: بقول د مسعود صحراوي: "إن التداولية بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية، كسياق الحال، وغرض الكلام، وإفادة السامع، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب ومفهوم الأفعال الكلامية يمكن أن تكون أداة من أدوات قراءة التراث العربي في شتى مناحيه ..." (Sahrawi, 2005, p. 226).

المطلب الثالث

لقد اعتمدت على تلك القولة لتوضيح مفهوم النص عند العلماء العرب القدماء ، وسنورد ما يلي من أقول العلماء المتقدمين:

أ. قال الزجاجي

"ونحن نعلم أن الله –عز وجل– إنما جعل الكلام ليعبر به العباد عما هجس في نفوسهم وخاطب به بعضهم بعضًا، بما في ضمائرهم مما لا يوقف عليه بإشارة، ولا إيماءٍ، ولا رمزٍ بحاجبٍ، ولا حيلةٍ من الحيل، فإذا كان هذا معقولاً ظاهرًا غير مدفوع، فبَيِن أن المخاطِب والمخاطَب والمخبِر عنه والمخبَر به، أجسامٌ وأعراضٌ تنوب في العبارة عنها أسماؤها أو ما يعتروه معنىً يدخله تحت هذا القسم، من أمرٍ أو نهيٍ أو نداءٍ أو نعتٍ أو ما أشبه ذلك مما تختص به الأسماء، لأن الأمر والنهي إنما يقعان على الاسم النائب عن المسمى، فالخبر إذا هو غير المخِبر والمخبَر عنه، وهما داخلان تحت الاسم، والخبر هو الفعل وما اشتق منه أو تضمن معناه وهو الحديث للذي ذكرناه، ولابد من رباط بينهما وهو الحرف ..." (al-Zujaji, 1416/1996, p. 34) ، ويقول: "سؤال آخر ... لِمَ سمى سيبويه وغيره هذه الأشياء أسماءٍ وأفعالاً وحروفًا، أعني قولهم: رجلٌ، وزيدٌ، وقامَ يقومُ ... وقد علمتم أنها كلها أفعال المتكلم، لأنها كلامٌ ونطقٌ، والكلام يفعله المتكلم ويوجده بعد أن لم يكن، فهو فعلٌ من أفعاله، ولستم ممن يقول: إن الاسم هو المسمى لفساد ذلك عندكم ،فزيدًا إذاً غير من هو دالٌ عليه، وقام في قولك :قام زيد، ليست هذه اللفظة بفعل زيدٍ، إنما هي فعل المتكلم ،وفعل زيد حركته وهذه عبارة عنها، وكذلك سائر هذه الأشياء، إنما هي أفعال المتكلمين، فَلِمَ رتبها النحويون هذه المراتب وسموها بغير استحقاقها؟ الجواب أن

يقال: إن هذه الأشياء كما ذكرتم أفعالًا للمتكلمين الناطقين بها، فهي مختلفة المعاني متباينة المجاري في طريق الإعراب[4]، وكل منها له نحوٌ في كلامهم ليس للآخر ،ووجه ينفرد به، فلما كان ذلك كذلك وجب الفرق بينها ،وأن يوسم كل جنس منها بأشكل الأشياء به..." (al-Zujaji, 1416/1996, p. 43; Anis, 1966, p. 279)، وقال: "لأن الكلام إذا كان مقصودًا به الإبانة عن الضمائر، ومحتاجًا إليه للخطاب والمحاورات، فكل فريق يخاطِب بلغَتِه، كخِطَاب من تأتيه لُغَتَه، وإن كان تَقدمٌ للعرب في ذلك حسنُ بيانٍ وفضلُ نظمٍ وحكمةٍ لما حباها الله به ... كان مرجع ذلك كله إلى أصل واحد ،..." (al-Zujaji, 1416/1996, p. 45).

ب. وقال الهروي:

"أن الكلام فعل الإنسان المتكلم، كالقيام والركوب فعل القائم والراكب، وهو أصوات مسموعة مقطعة ضربًا من التقطيع بحروف مؤلفة دالة بتأليفها على معنىً مفهوم، فإن لم يكن كذلك فليس بكلامٍ،كالتأوه والحنحنة وحديث النفسس ....، لأن لغة الناس معناها: كلامهم ومنطقهم، والعربي مُخبر مُعلِم بالقصد، فلا يكون الإخبار إخبارًا ولا الحديث حديثًاً إلا بالقصد"، وقال: "ألا ترى أنك لو حكيت كلام المخبِر لم تكن مخبِرًا، وإنما كنت حاكيًا، وكذلك الصبي الصغير إذا لُقن ما هو في الظاهر خبرٌ، لم يكن مخبرًا لعدمه معنى القصد" (al-Harawi, 1420, 1, 317).

ج. ويقول ابن مالك:

"نسبة الكلمات من الكلام نسبة حروف الهجاء من الخط، فكما أن معلم الخط يبتدئ بتبين عدد الحروف وأسمائها وتميز بعضها من بعض، كذلك معلم الكلام الكلام يبتدئ بتبين عدد الكلمات وأسمائها، وتمييز بعضها من بعض، ويستغني لشهرة معنى الكلام والخط عن تحديدها ..." (Ibn Malik, 1397/1977, p. 96).

هـ. وقد نقل الرضي الإستراباذي عن ابن الدهان أنه قال:

"إذا حصلت الفائدة فأخبر عن أي نكرة شئت، وذلك لأن الغرض من الكلام إفادة المخاطب مضمون الكلام" (al-Istarabadhi, 1996, 1, p. 203). وهذا هو الضابط العام الذي وضعه الرعيل الأول من النحاة لكن المتأخرين .كما يقول ابن هشام . "رأوا أنه ليس كل أحد يهتدي إلى مواطن الفائدة فتتبعوها." فابن السراج ،وابن هشام وغيرهم كانوا على وعي بالغرض من الكلام، وبوسائل التماسك والحبك والارتباط (Habirah, 2018, p. 97)،كما أن قراءة فاحصة في نصوص علماء الرعيل الأول تجعلنا ندرك أن الكلام عندهم تعبير عن الفكرة والموقف والمقام، وتبليغ للقصد ليصل إلى الإفادة ،وليس أدل من ذلك أن ابن مالك ابتدأ ألفيته ب:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم[5]

---

[4] الإعراب :الإبانة والوضوح والبيان .

[5] ابن هشام ،وابن مالك :شرح الألفية ، وأوضح المسالك على ألفية ابن مالك "باب الكلام وما يتألف منه".

وابتدأ كتابه بباب :(الكلام وما يتألف منه)والمراد: شرح ماهية الكلام وشرح ماهية ما يتألف منه من الكلم وهو :(الاسم والفعل والحرف) ،والتأليف وقوع الألفة والتناسب بين الجزئيين ،والكلام في اصطلاح اللغويين :عبارة عن القول وما كان مكتفيا بنفسه ،وفي اصطلاح المتكلمين :عبارة عن المعنى القائم بالنفس ،وفي اصطلاح النحويين :عبارة عما اجتمع فيه أمران، اللفظ والإفادة ،فالكلام في نفسه اللفظ والإفادة (Qabawah, 1409, p. 14 & 15)، والكتابة إنما سميت كلامًا لقيامها مقام الكلام. وفي شرح التعريف يقول الأزهري: "...أي لفظ دل على معنى يحسن السكوت عليه من المتكلم بحيث لا يصير السامع منتظرًا لشيءٍ آخر، وعلم من تفسير المفيد بما ذكر، أنه لا يحتاج إلى قولهم: المركب، لأن المفيد الفائدة المذكورة يستلزم التركيب، ولا إلى قولهم :المقصود، لأن حسن سكوت المتكلم يستلزم أن يكون قاصدًا لما تكلم به، وبين اللفظ والإفادة عموم وخصوص فيجتمعان في مثل، زيد قائم، ويوجد اللفظ بدون الإفادة كما في المفرد، وتوجد الإفادة بدون اللفظ كما في الإشارة.." (Qabawah, 1409, p. 21 & 20). يقول إبراهيم أنيس: "على أن الجملة في أقصر صورها أو طولها، تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر، يرتب بينها وينظم ويستخرج لنا من هذا النظام كلاما مفهوما نطمئن إليه و لا نرى فيه خروجا عما ألفناه في تجارب سابقة" (Anis, 1966, p. 278)، ومما سبق يتبن لنا أن علماء العرب وفي كتبهم التراثية –وأخص النحوية منها– كانوا على وعيٍ تامٍ بالنص وبالخطاب وبالحجاج والمناظرة.

فالنص مرادف للكلام ومرادف للجملة بالنظر إلى الجامع وهو الرفع والظهور، بضابط الإفادة ، ولذا اهتم النحاة بالجملة، لأن النص قد يتكون من جملةٍ واحدةٍ أو أكثر، يقول إبراهيم أنيس: "يجب إذن أن نتلمس معالم الجملة من استعمالات الناس ومما تواضعوا على استقلاله بالمعنى في كل كلام ... فالجملة: اصطلاح لغوي يجدر بنا أن نستقل به عن المنطق العقلي العام، وذلك لأن العادات اللغوية في كل بيئة هي التي تحدد الجمل في لغة هذه البيئة. فالأمر مرجعه كله إلى عادات المتكلمين بكل لغة، ويكفي لذلك أن نقول: إن الجملة في أقصر صورها هي: أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر، فإذا سأل القاضي أحد المتهمين قائلاً: من كان معك وقت ارتكاب الجريمة؟ فأجاب: زيد، فقد نطق هذا المتهم بكلام مفيد في أقصر صورة ... كل الذي يشترط في الكلام لئلا يكون لغوا، هو حصول الفائدة وتمامها وبتحقيق مثل هذا الشرط في كثير من العبارات التي لا يعدها اللغويون "جملا" ومع كل هذا فحين نحلل الكلام في كل لغة نرى أنه يمكن أن ينقسم إلى كتل يفيد كل منها معنى قد يكتفي به السامع ويطمئن إليه، وتشتمل كل كتلة منها في غالب الأحيان على ما يسمى بالمسند والمسند إليه وحدهما وهي الجملة القصيرة ...، ولكن الجملة تتضمن في الأعم الأغلب أمورا أخرى تطول بها الجملة وتتعقد، وقد جاء هذا الإسناد في صورة من الكلام مطولة معقدة...." (Anis, 1966, p. 277 وسبب الطول "متعلقات الإسناد")، وقوله: "وأما البحث عن حال الكلام إن كان مرادفًا للجملة، فكما يبحث عن الخبر الجملة، والحال والصفة كذلك، كان الأولى تعريف الجملة لأن البحث عنه إنما يقع مذكورًا بلفظ الجملة لا الكلام، وإن كان الكلام أخص من الجملة، فالبحث عن الكلام خفيٌ إلا أن يجعل بعض المباحث راجع إليه، كأن يقال: قولهم: كم لها صدر الكلام، بحث عن الكلام بأنه يجب أن تكون كم في صدره، وبالجملة يجب تعريف الجملة أيضًا، لأنها يبحث عنها أكثر من البحث عن الكلام بلا كلام كما ستعرف، قد تطول، ويؤكد ذلك قول بعضهم: أن البحث عن حال الكلمة وأقسامها ظاهر، وأما البحث عن الكلام فهو غير ظاهر عند النحاة فنعم ما فعل الزمخشري في المفصل حيث قال بعد تعريف الكلام ،ويسمى :"جملة" انتهى، وكأنه لم يلتفت للبحث عن الكلام في قولهم :الكلام إما خبرٌ أو إنشاءٌ لأنه ليس بحثًا نحويًا محضًا .." (Yasin, n.d., 1, p. 11).

لله ذر العلماء القدامى ما تركوا للمحدثين ثغرة تؤخذ عليهم ،ولم يغفلوا عن جذور العلم والمعرفة ،ومما سبق نجد إجابةً شافية للسؤال المتقدم، والذي يُطرح كثيرًا عند علماء اللسانيات الحديثة حول مفهوم (النص) والذي ظهر في الدراسات الحديثة في مصطلحات منها: علم النص، أو لسانيات علم النص، أو لسانيات الخطاب، أو نحو النص ..... (Ben Bella, 2018-2025,

p. 6)، وإن اختلفوا في مصطلح (النص)، وهل هو مرادف لمصطلح (الخطاب) من حيث معادلته لمفهومه بعد التأثر بالدراسات الغربية؟ أم أن (النص) أعم من (الخطاب)، وأشمل؟ أم أن (النص) و (الخطاب) وجهان لعملة واحدة؟ أم أن (الخطاب) أشمل من (النص)؟[6]

المطلب الرابع

ولتوضيح معنى النص عند القدماء آثرنا أن نورد ما يلي من نصوص (الخليل وسيبويه[7]) و(الفراء) والتي تثبت أن النحاة اهتموا بأركان الخطاب وبمعايير النص:

أ. يقول سيبويه:

"سألت الخليل عن قوله جلَّ ذكره: (حتَّى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها [الزمر: 73]) أين جوابها؟ وعن قوله: ... فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخْبَر لأيِّ شيءٍ وضع هذا الكلام" (Sibawayh, 1408/1988, 3, p. 103)، ويقول في باب الاستقامة من الكلام والإحالة: "فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب مستقيم قبيح وماهو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيك أمس وسآتيك غدا، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجمل وشربت ماء البحر، وأما المستقيم القبيح، فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس" (Sibawayh, 1408/1988, p. 25 & 26; Habirah, 2018, p. 92)، وعلق سيبويه على قوله تعالى: "ويل يومئذ للمكذبين" و "ويل للمطففين"، فإنّه لا ينبغي أن تقول إنّه دعاءٌ ههنا، لأنّ الكلام بذلك قبيح، واللفظ "به" قبيحٌ، ولكنّ العبادَ إنَّما كُلِّموا بكلامهم، وجاء القرآنُ على لغتهم وعلى ما يَعنون، فكأَنَّه واللهُ أعلمُ قيل لهم: وَيلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، ووَيْلُ "يَوْمَئِذٍ" لِلمُكَذِّبِينَ، أي هؤلاءِ ممن وجب هذا القولُ لهم، لأنَّ هذا الكلامَ إنّما يقال لصاحب الشر و الهلكلة، فقيل: هؤلاء ممن دخل في الشرّ والهلكة ووجَبَ لهم هذا" (Sibawayh, 1408/1988, 1, 331)، ويُلِحُّ سيبويه على علم المخاطَب[8] ودوره في بناء النص كقوله: "ومن ذلك ...، (ولا يحسبن الذين يبخلون ... [آل عمران: 180]) ،كأنه قال: ولا يحسبن الذين يبخلون البُخل هو خيرا لهم. ولم يذكر البخل اجتزاء بعلم المخاطَب بأنه البخل، لذكره يبخلون" (Sibawayh, 1408/1988, 2, p.

---

6 انظر خلافهم، Shahin, 2012, p. 27. وقد رجح أن الخطاب أشمل من النص في النظرة التراثية العربية.

7 يقول الشاطبي عن الكتاب: "وكتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش والمراد بذلك أن سيبويه وإن تكلم في النحو فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيها على بيان أن الفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في كل باب ما يليق به حتى وإن احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني" Habirah, 2018, p. 93. ويقول أبو حيان: "فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب سيبويه، فهو في هذا الفن المعول عليه، والمستند في حل المشكلات إليه..." (Abu Hayyan, 1403, p. 2 & 6).

8 انظر: Sibawayh, 1408/1988, 2, p. 391. وانظر: Sibawayh, 1408/1988, 1, 48, 224, 254 & 255.

391). وقوله: "هذا بابٌ يُحْذَفُ منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثَل وذلك قولك: "هذا ولا زَعَماتِك." أى: ولا أَتَوَهَّمُ زَعَماتِك ... ولم يَذكر: ولا أتوهَّمُ زعماتِك لكثرة استعمالهم إيَّاه، ولاستدلاله مما يَرَى من حاله أنَّه يَنْهاه عن زَعْمه (Sibawayh, 1408/1988, 1, p. 280)، ومن ذلك قول العرب: "كِلَيْهما وتمراً"، فذا مَثَلٌ قد كَثُرَ في كلامهم واستعمل، وتُرك ذكرُ الفعل لِما كان قبل ذلك من الكلام ..." (Sibawayh, 1408/1988, 1, p. 281)، ولقد انتبه سيبويه لقصد المتكلم فوقف على إرادته، يقول: "سرتُ حتّى أدخلُها، وقد سرتُ حتّى أدخلُها سواء، وكذلك إنّي سرتُ حتّى أدخلُها، فيما زعم الخليل. فإن جعلت الدخول في كلّ ذا غاية نصبت. وتقول: رأيت عبد الله سار حتّى يدخلُها، وأُرَى زيدًا سار حتى يدخلُها، ومن زعم أن النصب يكون في ذا لأن المتكلم غير متيقن، فإنه يدخل عليه سار زيد حتى يدخلها ... وتقول: ما سرت حتى أدخلُها، وحتى أدخلَها، إنْ جعلت الدخول غاية. وكذلك ما سرت إلا قليلا حتى أدخلُها إن شئت رفعت، وإن شئت نصبت ... وتقول: قلّما سرت حتى أدخلَها إذا عنيتَ غير سير، وكذلك أقلّ ما سرت حتى أدخلَها من قبل أنّ قلّما نفيٌ لقوله كثر ما" (Sibawayh, 1408/1988, 3, p. 21 & 22)، ويمثل على إرادة المخاطِب ومقصده في قول الكسائي: "اجتمعتُ أنا وأبو يوسف عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو، ويقول: ما النحو؟ فقلت . وأردت أن أعلمه فضل النحو. ماذا تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتلُ غلامِك، وقال آخر: أنا قاتلٌ غلامَك، أيّهما كنت تأخذ به؟ قال: آخذهما جميعًا. فقال له هارون: أخطأت . وكان له علم بالعربية . فاستحى، وقال: كيف ذلك؟ فقال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِك، بالإضافة لأنّه فعل ماض. فأمّا الذي قال: أنا قاتلٌ غلامَك بلا إضافة فإنّه لا يؤخذ لأنّه مستقبل لم يكن بعد" (al-Suyuti, 1987, 3, p. 245)، ولقد ورد هذا المفهوم التداولي (أَرَادَ) بمعنى القصد في كتاب سيبويه في مواضع رَبَت على مائة موضع (al-Basalah, 2018; Sibawayh, 1408/1988, 1, p. 1, 24, 48 & 83)، وقال: "وإذا ذكرت شيئاً من هذه الأسماء التي هي علامة للمضمَر، فإنه مُحال أن يظهر بعدها الاسم، إذا كنت تُخبر عن عمل أو صفة غير عمل، ولا تريد أن تعرّفه بأنه زيدٌ أو عمرو. وكذلك إذا لم توعد، ولم تفخر، أو تصغّر نفسك، لأنك في هذه الأحوال تعرّف ما تُرى أنه قد جُهل، أو تُنزل المخاطَب منزلة من يجهل، فخراً، أو تهدُّداً، أوعيداً، فصار هذا كتعريفك إياه باسمه (Sibawayh, 1408/1988, 2, p. 167).

ب. وكذلك راعى الفراء مفاهيم الترابط والتماسك بين أركان الجملة

واهتم بالمخاطب والرسالة والقصد والإفادة ومشى على خطى العلماء الذين راعوا التماسك والانسجام بين أركان النص (Habirah, 2018, p. 97 بتصرف)، يقول الفراء: "والعرب تقول: من أَيْنَ حسيت هذا الخبر؟ يريدون: من أَيْنَ تخبرته؟ وقوله: "فَعُمِّيَتْ عليكم" (هود: 28) وسمعت العرب تَقُولُ: قد عُمِّيَ عليَّ الْخَبَر وَعَمِيَ عليَّ بِمعنى واحد. وهذا مِمَّا حوّلت العرب الفعل إِلَيْهِ وليس لَهُ، وهو فِي الأصل لغيره، ألا ترى أن الرجل الَذِي يَعْمَى عَن الخبر أو يُعَمَّى عَنْهُ، ولكنّه فِي جوازه مثل قول العرب: دخل الخاتم فِي يدي والخُفّ فِي رِجْلي، وأنت تعلم أن الرجل التي تُدخل فِي الخفّ والأصبع فِي الخاتِم. فاستخفّوا بذلك إذا كَانَ المعنى معروفًا لا يكُون لذا فِي حال، ولذا فِي حال إنَّما هُوَ لواحد. فاستجازوا ذَلِكَ لِهذا...." (al-Farra', 1403, 2, p. 11)[9]، و"وقوله: "ذلِكَ الْكِتابُ ... " (البقرة: 2) يصلح فيه ذلِكَ من جهتين، وتصلح فيه «هذا» من جهة فأما أحد الوجهين من «ذلِكَ» فعلى معنى: هذه الحروف يا أحمد، ذلك الكتاب الذي وعدتك أن أُوحِيه إليك. والآخر أن يكون «ذلِكَ» على معنى يصلح فِيهِ «هَذَا» لأن قوله

[9] والمواضع كثيرة في معانيه: انظر: al-Basalah, 2018; al-Farra', 1403, 1, p. 38, 388, 399, 414, 416, 431; 2, p. 165; 3, p. 2.

«هَذَا» و «ذلِكَ» يصلحان في كل كلام إذا ذكر ثم أتبعته بأحدهما بالأخبار عنه. ألا ترى أنك تقول: قد قدم فلان، فيقول السامع: قد بلغنا ذلك، وقد بلغنا هذا الخبر، فصلحت فيه «هذا» لأنه قد قرب من جوابه، فصار كالحاضر الذي تشير إليه، وصلحت فيه «ذلِكَ» لانقضائه، والمنقضي كالغائب. ولو كان شيئًا قائما يرى لم يجز مكان «ذلِكَ» «هذا» منها ... وأما موضع حسنها في الكلام فأن يقول القائل: إن فلانا لشريف، فيقول السامع: وفوق ذاك يريد المدح. أو يقول: إنه لبخيل، فيقول الآخُر: وفوق ذاك، يريد بكليهما معنى أكبر. فإذا عرفت أنت الرجل فقلت: دون ذلك، فكأنّك تحطّه عن غاية الشرف أو غاية البُخل ..." (al-Farra', 1403, 1, p. 20) و "من ذلك: حلف عَبْد الله ليقومن فلم يقم، وحلف عَبْد الله لأقومن، لأنه كقولك: قال لأقومن، ولم يجز بالتاء لأنه لا يكون مخاطبا لنفسه، لأن التاء لا تكون إلا لرجل تخاطبه، فلما لم يكن مستحلف سقط الخطاب (al-Farra', 1403, 1, p. 53)."

ومن نصوص رواد المدرستين من نحاتنا تتبين لنا جذور النصية في مصنفات النحو والإعراب، ولعل ما قدمناه يدفع عنهم تهمة نحو الجملة وعدم الوعي بأسس النصية ومعايرها من: "الحبك والسبك والتناص والقصدية والمقامية والقبول والإعلامية" (Hamid, n.d., p. 3).

ت. نخلص مما تقدم إلى مايلي:

على الرغم من أن كتاب سيبويه وكتاب الفراء يعدا من أوائل مؤلفات العربية الناضجة إلا أنهما يعجُّا بأسس التداولية ومبادئها، وجعلا النحو في المقام الأول نظامًا تواصليًّا. ويؤكد ذلك: "وعندما نتمعن في فن المقاربة والجمع بين العلم النقلي المتمثل في التراث الإسلامي المقروء، والعلم العقلي المعاصر، ندرك أن العلماء المعاصرين انكبوا على كتب التراث المتنوعة فجعلوها الأساس الفعلي الذي بنيت عليه الاتجاهات النصية، بكل ما تحمله في طياتها من أفكار وتصورات وفرضيات، وقدم اللسانيون عددًا من الدراسات حول الجملة ونحوها، ثم انتقلوا إلى تفسير بعض الظواهر، وعمدوا إلى وحدة أكبر من الجملة، يمكن أن تكون وحدة النص" (Saraya'ah, 2007, p. 6)" ولم يكن البحث اللغوي واقفا عند حد الجملة،كما يحلو للبعض أن يصوره، لكنه لم يكن بالمفهوم الذي نتناوله به الآن، بل هو تهمة ألصقت بالقدماء على أننا ينبغي أن نعيد النظر فيما اتهم به بعض المحدثين نحاة العرب من أنهم قصروا جهودهم على نحو الجملة ولم يتجاوزوها إلى النص ومن ثم لم يتعد تحليلهم للجملة بيان وظائف الكلمة كالفاعلية والمفعولية داخل الجملة والعلامة الإعرابية لكل وظيفة والحق أن هذه التهمة لا تصدق عليهم لأن النحاة الأوائل إنما وضعوا القواعد النحوية من استقراء كلام العرب أي استنبطوا القواعد من النصوص العربية الفصيحة ويشهد بذلك كتاب سيبويه الذي تضمن علم العربية كله بأصواتها وصرفها وتراكيبها ودلالتها وبلاغتها" (Habirah, 2018, p. 92)، ويبدو لنا أن كتب النحاة ومجالسهم، وكتب معاني القرآن وإعرابه، وكتب الخلاف، وكتب الحجاج والمناظرة، وكتب العلل والإعراب لم تكن إلا خلاصة فكر عربي – بدأ باستقراء لغة العرب التي ظهر بها إعجاز خير نص أنزل على محمد –ص– ليرسي مبادئ النظرية التواصلية، فلم يكن النحو نحو جملة فقط، "فالتحليل النحوي عند العرب لا يقف عند الجمل والكلمات بل يمتد بها إلى العبارة وما بعده" والعبارة وما بعدها أكبر من الجمل ويصلان إلى مفهوم النص (Habirah, 2018, p. 92)، ولم يكن عقل العرب عند هذا الحد من التفكير ليهملوا المقام والقصد والبيان، وهم من ملكوا سحر البيان ونزل القرآن بلغتهم، وبلسانهم ،فكان نصاً معجزاً، يقول السهيلي: "فليس العلم الذي يلبس طالبه أكرم شيمة ويحيي فؤاد صاحبه كما تحيي الديمة الهشيمة إلا ما أودع الله –عز وجل– كتابه العلي من أنوار المعارف وتضمنه كلام النبي العربي "ص" من الفوائد واللطائف، فذلك العلم الذي ينهض حامله إلى أعلى المراتب ... فإذا كانت صناعة الإعراب مرقاة إلى علوم الكتاب لا يتوج فيها إلا من أبوابه، ولا يتوصل إلى اقتطاف زهراتها إلا بأسبابه، فواجب على الناشئين تحصيل أصولها،

وحتم على الشادين البحث عن أسرارها وتعليلها" (al-Suhayli, 1412/1992, p. 26). ونخلص إلى أن: "دراسة النحاة لم تكن دراسة شكلية بل دراسة عميقة فلم يقتصروا على الروابط الداخلية وإنما الروابط الخارجية، ومنها إبراز دور المشاركين في العملية اللغوية، ووظيفة السياق في تفسير أبعاد النص ويظهر ذلك في التحليل اللغوي للنص في كيفية اختيار المبدع لأدواته اللغوية مثل الأدوات – والضمائر، والأزمنة، والتكررات، والحذف، والمقابلات والجمل ... أي: بالاهتمام بالعلاقات الداخلية والخارجية" (Habirah, 2018, p. 107)، وبعد ما قدمناه، ورداً على أغلب المحدثين، الذين يرون أن العرب لم يعرفوا النصوص أو النص في تاريخهم إلا من خلال القرآن الكريم، ثم تلاه الحديث النبوي، والشعر والنظم، نقول لهم: إن الجذور ممتدة عميقة، ولم تكن وسائل التماسك النصي وليدة الفكر الغربي أو مستحدثة بعد نزول القرآن، بل لها جذورها عند النحاة و البلاغيين والأدباء والمفسرين، وشجع القرآن العلماء للبحث في إعجازه ونظمه فتباروا في وسائل التحام النظم القرآني وكلها تصب في إطار تأسيس مفهوم النص، ولقد قدم العلماء نظرية نحوية نصية متكاملة في كتب الإعجاز القرآني (Habirah, 2018, p. 91)، وكتب البلاغة والنقد الأدبي، وعلوم التفسير وعلوم القرآن (Habirah, 2018, p. 91).[10]

المطلب الخامس:

نقاش نسرد فيه جهود العلماء القدامى في علم النص باختصار:

أ. جهود علماء البلاغة:

يرى كثير من العلماء أن علماء البلاغة لهم اليد الطولى في تأسيس علم النص، ويستدلون على ذلك بمعالجة (ابن قتيبة) ورده على الملحدين" ودفاعا عن القرآن الكريم وبلاغته، بدأ ابن قتيبة بتقديم حجج هؤلاء ثم ينتقل إلى حججه، بمنهج واضح وبموضوعية، تجعل ابن قتيبة يخطو خطوة في الدرس العلمي العربي القديم كما استطاع ابن قتيبة أن يقدم إرهاصات نصية قريبة من علم لسانيات النص ..." (Habirah, 2018, p. 98; Ibn Qutaybah, 1971, p. 23)، ويرون أن الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن"، "ركز على ما تميز به ذلك النص من تآلف واعتصام بين أجزائه حتى كأنه نص واحد" (Habirah, 2018, p. 98) وقال: عن القرآن: "إذا تأملته تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم، إنه خارج عن العادة وأنه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه "يقول شاكر التميمي: "يظهر الفرق بين النص والخطاب في قول الباقلاني واضحًا فقد لاحظ أن بين النص مكتوبًا والخطاب ملفوظًا وحدة لغويَّة يقف الإنجاز فيصلاً فيها بين الطرفين، وهو إدراك رائد للدراسات اللسانية العربية ...." (al-

[10] ويؤكد ذلك ما يلي عند أبي حيان الذي صرح بأنه أول من وضع حدًا لعلم التفسير: (وأما الرسم في الاصطلاح، فنقول: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات ذلك ... ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، شمل بقوله: "التي تحمل عليها" ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز." (Abu Hayyan al-Andalusi, 1403/1983, p. 14). فالناظر في نص أبي حيان السابق، وفي مقدمته ،وفي ثنايا تفسيره يوقن أنه ميز بين عديد من المصطلحات، منها: "اللفظة، والكلمة، والجملة، والكلام، والآية" وتعامل مع القرآن كنص مترابط وبنيان مرصوص يشد بعضه بعضًا.

(Tamimi, 2018; Ben Bella, 2018-2025, p. 8; al-Baqillani, 1971, p. 35)، ويؤكدون على أن الجرجاني، في نظرية النظم عول على النصية فبرزت في نظريته القيمة النصية من خلال دعوته إلى النظرية الشمولية، التي تجمع بين علوم العربية والتفسير والقراءات والحديث ... لدراسة القرآن وبلاغته وإعجازه (Ben Bella, 2018-2025, p. 8)، كما أنه نظر إلى القرآن نظرة كلية باعتباره نصا واحدا مرسلا من منزل واحد، وأجاب عن سؤال كان يدور في أذهان العرب منذ نزوله وهو سر إعجازه، فأجاب: "وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ..." (Habirah, 2018, p. 94)، يقول: "واعلم أن ليس للنظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت ..." (al-Jurjani, 1422/2001, p. 60) كما أنه أرسى قواعد التماسك النحوي فوقف على التعالق بين الألفاظ والجمل، فهو يرى أن المستوى العالي من النظم هو الذي يتسم بالتماسك وهو: "أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما ويضع بيساره هناك ..." (Habirah, 2018, p. 95; Qawawa, 2012, p. 188) فالجرجاني "يميل إلى جعل النظم في الفكر أولا قبل اللفظ ولا يقيم وزنا كبيرا للفظ وحده دون علائق تربطه بما حوله في النسق الواحد فالمتكلم أو المرسل يمتلك مجموعة من المعاني التي تترابط أفكارا كاملة لديه وهي الرسالة التي ينبغي توصيلها ولكل معنى لفظ محدد دل عليه كما أن لكل تركيب معنى خاص يقدمه ليصل في النهاية إلى أفكار ومعايير مرتبة ترتيبا خاصا ويستدعي هذا الترتيب الخاص في ذهن المتكلم (المرسل) ترتيبا خاصا للألفاظ" (Habirah, 2018, p. 96) وهذا الموقف عده تمام حسان أمرا جديدا في الدراسات اللغوية عند القدماء، لأنه يتقف مع ما قرره روبيرت ألان دي بو جراند Robert Alain De Beaucrande (Habirah, 2018, p. 95) الذي صاغها وبنى هيكلها كاملاً بعد أن سبقه الرماني، والخطابي، فلم يكن مبتكراً بل كان مبدعًا (Habirah, 2018, p. 96)، فقد أشار الرماني إلى التلاؤم وأراد به حسن النظم وجودة السبك (Habirah, 2018, p. 99)، وبين الخطابي أن نظم القرآن لا يصل إليه نظم آخر، ولايوجد نظم أحسن تأليف وأشد تلاؤم من نظمه لاشتماله على اللفظ الحامل والمعنى القائم والرباط الناظم ،وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض (Habirah, 2018, p. 99; Qawawa, 2012, p. 191). ويرون أن السيوطي في كتابه "*تناسق الدرر في تناسب السور*" خير من نظر إلى القرآن على أنه كتلة نصية متكاملة، فعمد إلى خاصية التناسب في المعاني والمقاصد بين نصوص السور،وهي المنظور اللغوي العام الذي بنى عليه كتابه (Qawawa, 2012, p. 191; al-Suyuti, 1406/1986)، والقدماء وإن دللوا على النص بأشكاله كالقصيدة والخطبة والرسالة ونحوها، فإنهم لم يألفوا في تنظيراتهم جمع تلك التحقيقات في مفهوم النص البنائي، بيد أن القدماء من البلاغيين لاحظوا المقومات النصية البنائية الخاصة بكل جنس أدبي مما سبق (al-‘Abd, 1422/2001, p. 58).

ب. جهود علماء الأدب:

يعد الجاحظ من الذين رووا ما يشير إلى وعي القدماء (Qawawa, 1409, p. 190)، فقد روى عن عمر بن لجأ أنه قال لأحد الشعراء "أنا أشعر منك؟ قال وبم ذاك؟ قال: قال لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه" فالأخوة والعمومة إشارة إلى درجة الترابط بين سلاسل المنطوقات (al-‘Abd, 1422/2001, p. 59; al-Jahiz, 1405/1985)، وذم ابن قتيبة التكلف في الشعر، واقتران البيت بغير جاره (al-‘Abd, 1422/2001, p. 59)، وقال ابن طباطبا: "وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنظيم له معانيها ويتصل كلامه فيا ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه

وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ماهو فيه." (al-'Abd, 1422/2001, p. 59; Ibn Tabataba, n.d., p. 209)، ويرى العسكري أن من أحسن نعوت التئام الكلام وأزين صفاته، أن يكون من حيث الإطناب والإيجاز مناسبا لموقعه موافقا للمقام والحال (al-'Abd, 1422/2001, p. 59; Qawawa, 2012, p. 191)، ويقول: "ينبغي أن تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره ومطابقا هاديه لعجزه ولا تخالف أطرافه و لا تنافر أطراره وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها ومقرونة بلفقها...." (al-'Abd, 1422/2001, p. 60; al-'Askari, 1371/1952, p. 141 & 142)، وأضاف الحسين بن وهب، حسن النظام في حد البلاغة فقال: "وذكر الجاحظ كثيرا مما وصفت به، وحدها عندنا: القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام وفصاحة اللسان، وزدنا حسن النظام لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى ولا يحسن ترتيب ألفاظه وتصيير كل واحدة مع ما يشاكلها فلا يقع ذلك موقعه" (al-'Abd, 1422/2001, p. 61; Ibn Wahb, 1387/1967, p. 163) وكذا قال ابن رشيق ولكنه أطلق على مثال ابن وهب السابق مصلح "التناسب" وفسره باتباع كل لفظة ما يشاكلها وقرنها بما يشبهها (al-'Abd, 1422/2001, p. 62; Ibn Rashiq, 1972, 1, p. 258)، ويقول أسامة بن منقذ: "وأما السبك فهو أن يتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله لآخره كقول زهير (Ibn Abi Salma, 1408/1988, 1, p. 73):

يطعنهم ما ارتموا ،حتى إذا طعنوا ضارب ،حتى إذا ما ضاربوا عتقا....

ولهذا قال: "خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض" (al-'Abd, 1422/2001, p. 62; Ibn Muqidh, n.d., p. 163; Qawawa, 2012, p. 191)، ويعد ابن الأثير ضياء الدين، ممن تبنوا فكرة النظام وفكرة التناسب متابعًا العسكري وابن رشيق، ولكنه سماها "المؤاخاة بين المعاني" يقول: "أما المؤاخاة بين المعاني فهو أن يذكر المعنى مع أخيه لامع الأجنبي، مثاله أن تذكر وصفا من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به ..." (al-'Abd, 1422/2001, p. 62; Ibn Muqidh, n.d., p. 163; Qawawa, 2012, p. 191; Ibn Athir, 1416/1995, 3, p. 145)، كما أنه اهتم بالسبك والتماسك وتفضيل الألفاظ بعضها عن الآخر (Habirah, 2018, p. 100)، ويرى العلماء أن القرطاجي، كان أول من قسم القصيدة إلى فصول لها أحكام في البناء، ورصد العلاقة بين مطلعها وآخرها" (Habirah, 2018, p. 100). وذلك أن آراؤه ومنظوراته إلى ذلك المعيار يرتبط بعضها ببعض ويكمل بعضها بعضا لاسيما أن الأمر عنده قد تجاوز الملاحظة والوصف العاجلين إلى التقنين والتأصيل النظري المتأني" (al-'Abd, 1422/2001, p. 65)[11]، ولقد أشار ابن خلدون إلى ضرورة استقلال البيت في النص بالإفادة مع تحقيق مبدأ التناسب، قال: "وينفرد كل بيت منه بإفادة في تراكيبه حتى كأنه كلام واحد مستقل عما قبله وعما بعده وإذا أفرد كان تاما في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء فيحرص الشاعر على إعطاء ذلك في البيت ما يستقل في إفادته ثم يستأنف في البيت الآخر كلاما آخر كذلك" (al-'Abd, 1422/2001, p. 65; Ibn Khaldun, 1984, 2, p. 239) وقال "ويستطرد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود بأن يوطئ المقصود الأول ومعانيه إلى أن تناسب المقصود الثاني ويبعد الكلام عن التنافر" (al-'Abd, 1422/2001, p. 65)، ومن هنا يتبين لنا جهد علماء العرب القدماء في إرساء جذور علم لسانيات النص و لسانيات الخطاب، فلم تكن بذور الغرب هي المنبتة لتلك العلوم والنظريات، ولم تكن جذور أجدادنا من أهل العربية جافة متحجرة، بل كانت ضاربة في أعماق العلم وقفار الأراضي لتخضر وتنبت فيه ومنه وله.

[11] وما بعدها فقد تكلم الدكتور عن ذلك بالتفصيل

الخاتمة

مما تقدم من جهود الرعيل الأول في التعامل مع كلام العرب نثرًا وشعرًا ، نقول مع من قال: "ونحن لا نستبعد أن علماء الغرب قد أفادوا من ترجمة كتب التراث العربي التي وصلت إليهم عن طريق البعثات العلمية العربية في منتصف القرن التاسع عشر، ومن ثم بنى الغرب أفكارهم على هذا التراث، وهذا لا يعني أن الغرب لم يضيفوا شيئا جديدا، بل إنهم فعلوا الخطوة التي كان على المفكرين العرب أن يفعلوها لإكمال جهود علمائهم القدماء، فقدموا –علماء الغرب– للعالم أجمع نظرية لغوية مكتملة الأركان منظمة الأفكار تدعى ب "النظرية النصية" (Ghalim, 2019, p. 8)، فالعرب سبقوا الغرب في الجانب التطبيقي، والغرب طوروا المعايير، ونظروا لها ووضعوها في إطار محدد، عرف بنظرية علم النص (Ghalim, 2019, p. 9).

النتائج

أ. أن النحو عند العلماء العرب نحوا تكاملياً لا يمكن تقسيمه إلى نحو جملة ونحو نص ،بل هو منظومة متكاملة، وعلم يخضع لقوانين العربية القياسية والسماعية والتداولية والتواصلية.

ب. أن فقدان العلاقة بين المصطلح والمفهوم اللغوي لا يعني عدم اتضاح المفهوم عند العلماء فالقضية قضية تطور دلالي وليست قضية فقدان دلالي، فكثيرة هي الألفاظ التي غمرت علاقتها بالجذر التي اشتقت منه، وكثيرة هي مصنفات العربية التي لم تصلنا.

ج. أن فهم نصوص القدماء وإعادة قراءة التراث بفكر وبمقاربات جديدة تثري الدرس العربي وتربط بين التراث والحداثة.

د. أن علماء العربية اهتموا بالتطبيق والقياس والسماع وبناء القواعد، بينما طور علماء الغرب معايير النظريات وأرسوا فرضيات العلوم ووضعوا لها الإطار والهيكل .

هـ. أن النص في التراث العربي اهتم بالمعايير التداولية وبالسبك والحبك والقصدية والمقامية، واهتم بالرسالة وحال المرسل والمخاطب في اللغة التواصلية.

و. أن الحكم على جهود علماء العربية لا ينبغي أن ينطلق من مشروع صغير ومن فرع تخصصي واحد، بل هو مشروع ضخم يحتاج لفرق ومجموعات بحثية توثق الجهود بدراسة شمولية تكاملية بينية، ومن ثم تكشف عن أحكام موثقة مبنية على دراسات موسوعية تجاوزية.

ز. أن كثيراً من المبادئ النصية موجودة في النحو العربي. وهذا يتضح إذا تبنينا مشروعا ضخماً لحصر جهود النحاة النصية، والالتفات إلى أثر النحو العربي فيما سمي بلسانيات النص العربية ويكون ذلك الحصر بدراستها في النماذج التي تمثلها خير تمثيل، أي: من خلال دراسة أعلام النحاة الذين عنوا بالنص واهتموا به، وبدراسة النحو التطبيقي.

ح. أننا نؤيد د. حامد: "وبناءً على ما سبق ندرك أن النحو العربي . وإن لم يكن نحو نص بالمفهوم الحديث . فهو علم نصي بالمفهوم العام، لتعلقه الوثيق بالقرآن الكريم والشعر، وأن له إسهاماته الواضحة في هذا. ويدخل ما قدمه النحو العربي في هذا الشأن في باب "التماسك" أو السبك (Cohesion) أكثر من غيره".[12]

[12] انظر: Hamid, n.d.

المصادر والمراجع

al-‘Abd, Muhammad. (1422/2001). Hubbuk al-nas*. Manzurat min al-Turath al-‘Arabi*. *3*(3).

‘Abd al-Rahman, Taha. (2001). *Fi Usul al-Hiwar wa Tajdid ‘Ilm al-Kalam*. 2nd ed. Dar al-Bayda’: al-Markaz al-Thaqafi al-‘Arabi.

‘Ali, ‘Abd al-Wahhab Amali Jawwad Mustafa. (1977). Fi fann tahqiq al-nusus taqdim wa ta‘liq. *Majallat al-Mawrid. 6*.

al-‘Akbari, Abu al-Baqa’. (1421/1991). *Masa’il Khilafiyyah fi al-Nahw.* Tahqiq Muhammad Khayr al-Halawani. Bayrut: Dar al-Sharq al-‘Arabi.

al-‘Askari, Abu Hilal al-Hasan ibn ‘Abd Allah ibn Sahl. (1371/1952). *Kitab al-Sina‘atin*. ‘Ali al-Bajawi & Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim (eds.). Dar Ihya’ al-Kutub al-‘Arabiyyah.

Abu Hayyan al-Andalusi, Muhammad ibn Yusuf. (1403/1983). *Tafsir al-Bahr al-Muhit*. 2nd eds. Bayrut: Dar al-Fikr for Printing and Publishing.

Anis, Ibrahim et al. (2004). *al-Mu‘jam al-Wasit.* 4th ed. al-Qahirah: Jama‘ al-Lughah al-‘Arabiyyah.

Anis, Ibrahim. (1966). *Min Asrar al-‘Arabiyyah*. 3rd ed. al-Qahirah: The Anglo-Egyptian Library.

al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad. (2001). *Tahdhib al-Lughah*. Tashih Muhammad Awad Mereb. Bayrut: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi.

al-Baqillani, Ayub Kara. (1971). *I‘jaz al-Qur’an*. Tashih Sayed Ahmed Saqr. 3rd ed. al-Qahirah: Dar al-Ma‘arif. https://www.startimes.com/?t=23123682

al-Basalah, ‘A’idah. (2018). Judhur al-tadawuliyyah wa buwaraha fi kitab Sibawayh: Qira’at muta’anniyyah fi fikrih al-tadawuli. *Majallat Kuliyyah li Adab Jami‘ah Baghdad*. *16*.

al-Basalah, ‘A’idah. (2018). Min judhur al-tadawuliyyah wa buwadiruha fi kitab Ma‘ani al-Qur’an li al-Farra’: Qira’at muta’anniyyah fi fikrih al-tadawuli. *Majallat Kuliyyah li Adab Jami‘ah Baghdad*. *127*(Supplement 1).

Ben Bella, Ahmed. (2018-2025). Ishamat al-nasiyah fi turath al-‘Arabi. Unpublished Ph.D. thesis, Faculty of Arts and Languages, Oran University, Algeria.

al-Fakihi. (1971). *Hashiyat ‘ala Sharh Qatr al-Nada wa Ball al-Sada*. 2nd. ed. Misr: Mustafa al-Babi al-Halabi.

al-Farra’, Abu Zakariyya Yahya ibn Ziyad. (1400/1980). *al-Ayyam wa al-Layali wa al-Shuhur.* Dar al-Kitab al-Islamiyyah. Ibrahim al-Abyari (ed.). 2nd ed.

al-Farra’, Abu Zakariyya Yahya ibn Ziyad. (1403). *Ma‘ani al-Qur’an*. 3rd ed. n.p.: Alam al-Kutub.

Ghalim, Sajid Hamzah. (2019). al-Lisaniyyat wa al-turath al-‘Arabi: Dirasat muqarabah. *Majallat Duwat. 5*(20).

Habirah, Izz al-Din. (2018). Mustalah al-tamasuk al-nassi fi al-turath al-‘Arabi al-lughawi: Muqarabat nassiyyah. *Majallat al-‘Ulum al-Insaniyyah. 49*.

al-Hajj Salih, ‘Abd al-Rahman. (1993). *Usul al-Bahth fi al-Turath al-Luqhawi al-‘Ilm al-‘Arabi*. n.p.: n.p.

Hamid, ‘Abd al-Salam. (n.d.). *‘Alaqat al-Nahw al-‘Arabi bi Nahw al-Nas.* http://www.odabasham/

al-Harawi, Muhammad ibn ‘Ali. (1420). *Isfar al-Fasih*. Ahmed Qashash. (ed.). al-Madinah: al-Jami‘ah al-Islamiyyah.

Ibn Abi Salma, Zuhayr. (1408/1988). *Diwanah*. ‘Ali Hassan Fa‘ur (ed.). Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.

Ibn al-‘Abd, Tarfah ibn al-‘Abd. (1423/2002). *Sharhih wa Qadm*. Mahdi Muhammad Nasir al-Din (ed.). 3rd ed. Bayrut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah. Manshurah: Muhammad ‘Ali Baydun.
Ibn al-Athir. (1416/1995). *al-Mathal al-Sa’il fi Adab al-Katib wa al-Sha‘ir*. Tashih Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd al Hamid. Bayrut: al-Maktabah al-‘Asriyyah.
Ibn al-Sarraj, Muhammad ibn Sahl. (1985). *al-Usul fi al-Nahw*. ‘Abd al-Husayn al-Fatli. Bayrut: al-Resalah Foundation.
Ibn Faris, Ahmad ibn Faris. (1399/1979). *Maqayis al-Lughah*. ‘Abd al-Salam Harun (ed.). Dar al-Fikr li al-Tiba‘ah. Wa al-Nashr wa al-Tawzi‘.
Ibn Hisham al-Ansari. (1392/1972). *Mughni al-Labib ‘an Kutub al-Aqarib*. Tashih Mazin al-Mubarak & Muhammad Ali Hamdallah. Sa‘id al-Afghani (ed.). Dimashq: n.p.
Ibn Hisham, ‘Abd Allah ibn Yusuf. (1406/1986). *Sharh Jamal al-Zajji*. Tahqiq ‘Ali ‘Isa Malal Allah. Baghdad: ‘Alam al-Kutub.
Ibn Hisham, ‘Abd Allah ibn Yusuf. (n.d.). *Awdah al-Masalik ila Alfiyah Ibn Malik*. Tahqiq Yusuf al-Shaykh Muhammad al-Baqqa‘i. Dar al-Fikr li al-Tiba‘ah wa al-Nashr wa al-Tawzi‘.
Ibn Jinni, Abu al-Fath ‘Uthman ibn Jinni. (1373). *al-Munsif Sharh li Tasrif al-Mazini*. Tahqiq Ibrahim Mustafa & ‘Abd Allah Amin. Egypt: al-Matba‘ah Mustafa al-Babi al-Halabi.
Ibn Jinni, Abu al-Fath ‘Uthman ibn Jinni. (n.d.). *al-Khasa’is*. Tahqiq Muhammad ‘Ali al-Bajawi. Bayrut: Dar al-Kitab al-‘Arabi.
Ibn Khaldun, Muhammad. (1984). *al-Muqaddimah*. Tunisia: Tunisian Publishing House.
Ibn Malik, Jamal al-Din. (1397/1977). *Sharh ‘Umdah al-Hafiz wa ‘Iddat al-Lafiz*. ‘Adnan ‘Abd al-Rahman al-Duri (ed.). Baghdad: al-Matba‘ah al-‘Ani.
Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram. (1414). *Lisan al-Arab*. 3rd ed. Bayrut: Dar Sadir.
Ibn Munqith, Usamah. (n.d.). *al-Badi‘ fi Naqd al-Shi‘r*. Tahqiq Ahmed Badawi & Hamid ‘Abd al-Majid.
Ibn Qutaybah. (1971). *Ta’wil Mushkil al-Qur’an*. Sayyid Ahmad Saqr (ed.). 3rd ed. Madinah al-Munawwarah: al-Maktabah al-‘Ilmiyyah.
Ibn Rashiq, Abu ‘Ali al-Hassan. (1972). *al-Umdat fi Mahasin al-Shi‘r wa Adabih wa Naqdih*. 4th ed. Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid (ed.). Bayrut: Dar al-Jayl.
Ibn Tabataba, Abu al-Hasan Muhammad ibn Ahmad. (n.d.). *‘Iyar al-Shi‘r.* ‘Abd al-‘Aziz al-Mani‘ (ed.). al-Qahirah: Maktabat al-Khanji.
Ibn Wahb, Abu al-Husayn Ishaq ibn Ibrahim ibn Sulayman ibn Wahb al-Katib. (1387/1967). *Al-Burhan fi Wujuh al-Bayan*. Tahqiq Ahmad Matlub & Khadijah al-Hadithi. Baghdad: al-Jami‘ah Baghdad.
Ibn Ya‘ish, Ya‘ish ibn Ali. (1422/2001). *Sharh al-Mufassal*. Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
al-Isfahani, Raghib. (1421/1992). *al-Mufradat fi Gharib al-Qur’an*. Tashih Safwan Dawudi. Dimashq: Dar al-Qalam.
al-Istarabadhi, Muhammad ibn al-Husayn Radi al-Din. (1996). *Sharh al-Kafiyyah.* 2nd ed. Tashih Yusuf Hassan ‘Umar. Benghazi: Qar Yunis University.
al-Jahiz, Abu ‘Uthman ‘Amru ibn Bahr. (1405/1985). *al-Bayan wa al-Tabyin*. ‘Abd al-Salam Harun (ed.). 5th ed. Maktabah al-Khanji.
al-Jawhari, Isma‘il ibn Hammad. (1430/2009). *al-Sihah Taj al-Lughah wa Sihah al-‘Arabiyyah*. Muhammad Muhammad Tamir, Anas Muhammad al-Shami & Kariya Jabir Ahmad (eds.). al-Qahirah: Dar al-Hadith.
al-Jurjani, ‘Abd al-Qahir. (1422/2001). *Dala’il al-I‘jaz*. Tahqiq ‘Abd al-Hamid Hindawi. Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
al-Jurjani, ‘Ali ibn Muhammad. (1357/1938). *al-Ta‘rifat*. Misr: Maktabat wa Matba‘at Mustafa al-Babi al-Halabi wa Awladuh.
al-Jurjani, ‘Ali ibn Muhammad. (1403/1983). *al-Ta‘rifat*. Bayrut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
al-Kafwi, Ayub al-Husayni. (1419/1998). Mu‘jam fi al-Mustalahat wa al-Faruq al-Lughawiyyah. Adnan Darwish & Muhammad al-Masri (eds.). Ed. 2. Bayrut: Mu’assasat al-Risalah.
al-Liburi, Ahmad. (1993). *Dinamiyyat al-Nass al-Riwa’i*. al-Maghrib: Manshurat Ittihad Kitab al-Maghrib,
al-Majdub, ‘Izz al-Din. (1998). *al-Minwal al-Nahwi al-‘Arabi: Qira’at Lisaniyyat Hadithat*. Souesse: Dar Muhammad ‘Ali al-Hami, Kuliyyat al-Adab bi Souesse.
al-Maraghi, Ahmed al-Maraghi. (n.d.) *Tahdhib al-Tawdih*. 3rd ed. n.p.: n.p.

Miftah, Muhammad. (1992). *Tahlil al-Khitab al-Shi'ri – Istratijayyat al-Tanas.* 3rd ed. Bayrut: Markaz al-Thaqafi al-Arabi.
Miftah, Muhammad. (1996). *al-Tashabuh wa al-Ikhtilaf*. Bayrut: Markaz al-Thaqafi al-Arabi.
Mighri, Mansur Mubarak. (1436/2015). Nizam al-qawl fi al-'Arabiyyah, al-Khasa'is al-Tarkibiyyah wa al-Dilaliyyah wa al-Tadawuliyah, Unpublished Ph.D. Thesis, King Abdullah Center for Arabic Language Service, Riyadh.
al-Mubarrad, Muhammad ibn Yazid. (1382). *al-Muqtadib*. Muhammad 'Abd al-Khaliq Udayma (ed.). al-Qahirah: Alam al-Kutub.
Nahlah, Mahmud Ahmad. (1988). *Madkhal ila Dirasat al-Jumlah al-'Arabiyyah*. Bayrut: Dar Al-Nahdah.
Qabawah, Fakhr Al-Din. (1409). *I'rab al-Jumal wa Ashbah al-Jumal*. Halab: Dar al-Qalam al-'Arabi.
Qawawa, al-Tayyib al-'Azali. (2012). *Mafhum al-Tamasuk al-Nassi 'ind al-Qudama wa al-Muhaddithin*. Biskra: Jami'at al-Wadi.
Sahrawi, Mas'ud. (2005). *al-Tadawuliyah 'ind al-Ulama' al-'Arab: Dirasat Tadawuliyat li Zahirat al-Af'al al-Kalamiyyah fi al-Turath al-Lisani al-'Arabi.* Bayrut: Dar al-Tali'ah li al-Tiba'ah wa al-Nashr.
Saraya'ah, Yasin. (2007). Muqarabat nahw al-nass fi tahlil al-nusus. *Majallat al-'Ulum al-Insaniyyah*. *35*.
al-Shafi'i, Yasin. (1971). *Hashiyat 'ala Sharh al-Fakihi li Qatr al-Nada wa bi A'la al-Saha'if Mujib al-Nida' ila Sharh Qadr al-Nada al-Fakihi.* Misr: Mustafa al-Babi al-Halabi.
Shahin, 'Abd al-Khaliq Farhan. (2012). Usul al-Ma'ayir al-Nasiyyah fi al-Turath al-Naqdi wa al-Balaghi 'ind al-'Arab. Unpublished Master's Theses, Jami'at al-Kufah.
al-Shawsh, Muhammad. (2001). *Usul Tahlil al-Khitab fi al-Nazariyyah al-Nahwiyyah al-'Arabiyyah*. Vol. 2. Tunis: al-Mu'assasah al-'Arabiyyah li al-Tawzi'.
Sibawayh, 'Amru ibn 'Uthman. (1408/1988). *al-Kitab*. 'Abd al-Salam Muhammad Haru. 3rd ed. al-Qahirah: Maktabat al-Khanji.
al-Suhayli, Abu al-Qasim 'Abd al-Rahman. (1412/1992). *Nata'ij al-Fikr*. Bayrut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
al-Suyuti, 'Abd al-Rahman ibn al-Kamal. (1406/1986). *Tanasuq al-Durar fi Tanasub al-Sur*. 'Abd al-Qadar Ahmed 'Ata (ed.). Bayrut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
al-Suyuti, 'Abd al-Rahman ibn al-Kamal. (1987). *al-Ashbah wa al-Naza'ir fi al-Nahw*. 'Abd al-Ilah Nabhan, Ghazi Tulatmat, Ibrahim Muhammad 'Abd Allah, Ahmad Mukhtar al-Sharif (eds.). Dimashq: Majma' al-Lughah al-'Arabiyyah.
al-Tahanawi, Muhammad ibn 'Ali. (1998). Kashaf istilahat al-funun wa al-'ulum. Ahmad Hassan Bassaj (ed.). Vol. 2. Bayrut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
al-Tamimi, Shakir. (2018). al-Tarh al-nazari li mafhum al-nass fi al-turath al-'Arabi. *Star Times Forums*. Ben Bella, Ahmed, Ishamat al-nasiyah fi turath al-'Arabi, Ph.D., Unpublished Ph.D. Thesis, Faculty of Arts and Languages, Oran University.
al-Tarihi, Fahr al-Din. (n.d.). *Majma' al-Bahrayn.* Ahmad al-Husayni (ed.). Bayrut: Mu'assasat al-Tarikh al-'Arabi.
Tha'lab. (1969). *Majalis Tha'lab*. 'Abd al-Salam Harun (ed.). Misr: Dar al-Ma'arif.
al-'Udwani, Khalid Hasan. (2008). Dirasat al-jumlah al-'Arabiyyah wa lisaniayyat al-nas. Unpublished Master's thesis, Jami'at Halab.
Yaqtin, Sa'id. (2001). *Infitah al-Nass al-Riwa'i al-Nass wa al-Siyaq.* 2nd ed. Bayrut: al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi.
Yasin, al-Hamsi. (n.d.). *Hashiyat Yasin 'ala Sharh al-Tasrih bi Madnun al-Tawdih*. Vol. 1. n.p.: n.p.
al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud. (1859). *al-Mufassal fi 'Ilm al-'Arabiyyah*. n.p.: Christiania.
al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud. (1997). *al-Kashshaf 'an Haqa'iq al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil*. Bayrut: Dar al-Fikr.
al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud. (n.d.). *Asas al-Balaghah*. 'Abd al-Rahim Mahmud (ed.). Bayrut: Dar al-Ma'rifah.

al-Zubaydi, Muhammad ibn Muhammad. (1358/1965). *Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus*. 'Abd al-Sattar Ahmad Farraj (ed.). al-Kuwayt: Matba'ah Hukumah al-Kuwayt.
al-Zujaji, Abu al-Qasim. (1416/1996). *al-Idah fi 'Ilal al-Nahw*. Mazin al-Mubarak (ed.). 6th eds. n.p.: Dar al-Nafa'is.